

سلسلة مجموعة الرسائل

رسالة الشيخ نور الدين سيدي

تأليف

السيد محمد كاظم الحسيني الحائري الرشتي



١٢١٢ - ١٢٥٩ هـ

مراجعة وتحقيق

الحسين السيد الامجد

لأخيه تراث الشيخ الامجد والشيخ العظام

أعلى الله كلمتهم

طبع بأمر وإشراف

الحكيم الامام الفقيه الزبيري

طولي الحاج ميرزا عبد الله الحائري الاصفهاني

دامت بركاته

الطبعة الاولى

٢٠٠٨ - ١٤٢٩ هـ

مكتبة العظماء

مُسَدِّدُ الْمَوَدِّعَاتِ لِلْمُسْلِمِينَ

تأليف

السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ كَاطِبٍ الْحُسَيْنِيِّ الْحَائِثِيِّ الرَّشِيدِيِّ



١٢١٢ - ١٢٥٩ هـ

طبع بأمر وإشراف

الحاكم الأعلى والفقير المذنب

علي الحاج ميرزا عبد الله الحائري الأحمدي

دامت بركاتاه

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م

كلمة الحكيم الإلهي والفقير الرباني
الحاج ميرزا عبد الله الإحقاقي

بسمه
تعالى

لاحظت رسالة عبد الله بك من رسالات سيدنا
الاعبد السيد محمد كاظم الرشتي اعلى الله مقامه
التي قام بطبعها الاخ الفاضل الشيخ حنيني على المصوع
حفظه الله ووجدتها نافعا جدا ، نطلب من الله
ان يستفيد المؤمنون والمؤمنات من هذه المجموعة
الروحانية بحق محمد وال الطاهرين ، والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته .
عبد الله عبد الرسول
الاحقائي

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

أما بعد فيقول العبد الفقير الحقير الجاني كاظم بن قاسم الحسيني أن
الأخ السديد والولي الرشيد الزكي اللوذعي واللييب الألمعي الموفق بتأييد
الله عبد الله بيك ابن المكرم المعظم المقدم المفخم نصر الله بيك وفقه الله
لمراضيه وجعل مستقبل حاله خيرا من ماضيه وأمهده بما يحبه ويرضيه قد
أتى بمسائل عريضة جليلة صعبة المنال وبعيدة الوصال وهي بعدد قوى
الواحد من قوله عز وجل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾^(١)،
وقد جرى ذلك منه على مقتضى الفطرة الطيبة والطبيعة الصافية وأراد من
الفقير جوابها وكشف نقابها وأنا في غاية الاشتغال وتبليل البال وتعارض
الأحوال، ولكنه لما كان أهلا للجواب وطالبا للحق والرشد والصواب
أجبت مسئوله ولكني متعذر من بسط المقال وشرح حقيقة الحال لما أنا فيه
من غاية الكلال والملال وآت بما هو الميسور لأنه لا يسقط بالمعسور وإلى
الله ترجع الأمور.

قال سلمه الله تعالى: المسألة الأولى ما التوحيد وأدلته ومراتبه
وأركانها.

(١) سبأ ٤٦

معنى التوحيد

أقول: اعلم أنه سئل مولانا الصادق عليه السلام عن التوحيد بعبارة مختصرة قال عليه السلام (التوحيد ألا تتوهمه)^(١) انتهى، ومعنى التوحيد أن تنزهه سبحانه عن كل شيء مستقل سواه وترى كلما سواه آثار أفعاله وظهورات صفاته كما ترى زيدا مع صفاته وأفعاله وأحواله من قيامه وقعوده وحركاته وسكناته وتجد كل هذه الأفعال فانية باطلة مضمحلة عند ذات زيد ولا قوام لها إلا به، وكذلك الموجودات والكائنات والمكونات والإمكانات كلها بالنسبة إلى فعله تعالى نسبة قيامك إلى فعلك فلا تذكر معه كما أني إذا سألتك من في البيت تقول زيد ولا تقول زيد مع قعوده وحركته وكلامه وسائر أحواله لأنها لا تجتمع معه حتى تذكر عند ذكره، وكذلك الخلق مع الله سبحانه فهو سبحانه واحد أبدا ولا يذكر الخلق معه في رتبة ذاته ولا عند ظهور أفعاله بل الخلق في مقامات الأثر وأنى هو مع المؤثر وأين الثريا من يد المتناول وأين التراب ورب الأرباب.

أدلة التوحيد:

وأما أدلة التوحيد فهي موجودة في الآفاق وفي أنفس الخلايق بل لا تجد ذرة من ذرات الوجود إلا وهي ناطقة له بالتوحيد والتفريد كما قال مولانا الصادق عليه السلام:

فوا عجباه كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

(١) نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٨

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد^(١)
وأما دليل المجادلة بالتي هي أحسن كما هو مراد جنابك فاعلم أنه لو كان
إله آخر لوجب أن يكون في الأزل إذ لا واسطة بين الأزل والإمكان فإذا
جعلت الأزل ظرفا يشملهما ويسعهما فكان محيطا بهما وكان أوسع من كل
منهما وكلما هو محيط على شيء وأوسع من شيء فلا شك أنه أشرف وأعظم
من ذلك الشيء، فإذا ثبتت الأشرفية للأعلى بطلت الألوهية لهما فلا يكونا
إلهين لوجود ما هو أشرف منهما وأوسع منهما.
فإن قلت ليسا في الأزل فكانا في الإمكان.
فإن قلت أن الأزل عين حقيقة واحد منهما فتفرد بالأزلية فيكون الآخر
حادثا في الإمكان.

وإن قلت أن الأزل هو عين حقيقتيهما قلت بماذا افترقا، فإن قلت بنفس
الأزلية قلت يلزم أن يكون ما به الامتياز عين ما به الاشتراك وفيه تناقض
بين لأنهما إذا كانا متمايزين بالذات فلا معنى للقول بالاشتراك في الأزلية،
ولا يكون هذا التمايز الذاتي إلا أن يكون أحدهما فاقدا للأزلية فيكون الفاقد
ممكنا حادثا والواجد هو ربا قديما، وإن كان كلاهما واجدين للأزلية فثبت
الاشتراك، فإن فرضت الاثنينية والتمايز فيجب أن يكون التمايز بأمر آخر
فيكون كل منهما مركبا من جهة الاشتراك ومن جهة الامتياز، والتركيب
نقص لأنه موقوف على الأجزاء ومحتاج إليها فإذا كان محتاجا فيضطر إلى
آخر يسد فقره ويغني حاجته فلو كان ذلك أيضا مركبا لاحتاج إلى آخر

(١) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٤١٢

فثبت أن الغني الذي يسد فقر كل فقير يجب أن لا يكون مركبا، فإذا بطل التركيب بطلت الاثنينية لأنها مستلزمة له لا محالة، هذا إذا فرضتها في رتبة واحدة، وأما إذا كانا في رتبتين كالواجب والممكن فلا يلزم التركيب، إذ امتياز كل واحد بنفس ذاته ومعنى ذلك أنه لا اشتراك هناك حتى يحتاج إلى التمييز وقد اشتهر عندهم ما لا جنس له لا فصل له وذلك معلوم بين إنشاء الله.

ثم إن طلب الدليل على التوحيد عند فرض تصور الشريك وإلا لكان الطلب غير معقول بالضرورة وأنى للممكن وتصور الواجب سيما على جهة الامتياز لأن كل شيء لا يدرك ما وراء ذاته وحقيقته، فلا يدرك الأعلى منه إلا بالآية والدليل، وآية العلة حقيقة ذات المعلول من حيث هي، وذات كل شيء من حيث هي واحدة وحدة حقيقية فلا يتوجه بها إلا إلى الواحد وليست في ذاته جهة أخرى حتى يدرك بها القديم الآخر ويميزه، فإذا بطل إدراك الإله الآخر وتصوره بطل الاستدلال على نفيه لأن نفي الشيء فرع إدراك فرض ثبوته وهو في هذا المقام فرع تعدد حقيقة ذات كل شيء، لأن إدراك الواجب لا يكون إلا بوجه منه وذلك لا يكون في المراتب السافلة، فوجب أن يكون في أعلى المراتب وليس أعلى من مقام ذات الشيء مقام ولا مرتبة، فيكون ذلك وجهها للواجب وآية ودليلاً لمعرفته حيث امتنعت معرفة كنه حقيقته تعالى، فيتوجه إليه تعالى بذلك الوجه، فلو كان إله آخر لوجب أن يكون في الحقيقة والذات تعدد ذاتي ليكون كل وجهها لمبدئه فيدركه به، ولا تعدد في الذات لأنك تجد نفسك

وتلاحظها مع قطع النظر عن جميع الكثرات والإضافات والقرانات، فلو كانت ذاتك متعددة للزم أن لا يمكن لك إدراك الوحدة، لأن المدارك كلها ظهورات الحقيقة والذات وشئونها وأطوارها وهي أنزل رتبة منها، فإذا امتنعت الوحدة في الذات التي هي أعلى المقامات ففي المقامات السافلة بالطريق الأولى فيجب أن لا يدرك الوحدة أبدا ولا يمكن لأحد أن يقول أنا وإنما يجب أن يقول نحن لما في ذاته من التعدد واللوازم كلها باطلة بالضرورة فبطل إدراك القديم الآخر بكل جهة، فبطل طلب الدليل عليه أصلا في الحقيقة.

وقول أهل المنطق في تعريف الكلي والجزئي أن الكلي ما لا يمنع نفس تصويره عن وقوع الشركة فيه، والجزئي ما يمنع نفس تصويره عن وقوعها، وقالوا إنما قيدنا نفس التصور لدخول مفهوم الواجب في الكلي وخروجه عن الجزئي، لأن مفهوم الواجب لا يمنع وقوع الشركة فيه من حيث نفسه، وإنما يمنع بدليل خارج، قالوا ولولا ذلك لما احتاج أحد إلى إثبات التوحيد، وهذا القول فاسد لأن المفهوم المدعى لا يخلو إما أن يكون مطابقا للمصداق أم لا، والثاني لم يكن مفهوما ولا فائدة في الكلام فيه، والأول فهل عدم منعه عن الشركة صدق أو كذب، فإن كان صدقا كيف يبطله الدليل الخارجي، وإن كان كذبا فهو. فإن قيل أن الدليل يمنع عن تحقق الأفراد غير الفرد الواحد الذي هو الحق سبحانه، فالواجب حقيقة كلية تصلح لأفراد غير متناهية، ولكنها امتنعت إلا الواحد فطلب الدليل لأجل صلوح المفهوم الكلي لكثرة الأفراد، والدليل يكشف عما الواقع عليه.

قلت إذا جعلت الحق سبحانه فردا من مفهوم الواجب، ولا شك أن الفرد مركب من الكلي والقيّد الخارجي بالضرورة، فكان الحق سبحانه على زعمهم مركبا فقد خرجوا على زعمهم من كثرة الأفراد ودخلوا في كثرة التركيب، فإن قيل أن تركيب الحق سبحانه عما به الاشتراك وما به الامتياز تركيب عقلي وهو يصح على الله كما ذهب إليه جماعة من أهل الإسلام، قلت إن مناط استحالة التركيب على الله تعالى لزوم الفقر والحاجة إلى الأجزاء، وهو في الحالتين ثابت، إلا أن تقول أن التركيب في الذهن والعقل، والخارج ليس فيه تركيب، فإننا نقول قد كان قولك هذا ونسبته إلى الله (حينئذ) كذبا فيكون هذا المفهوم باطلا كما أتى فلا تركيب في الواجب فإن ما تصورته غير الواجب الحق الذي مرادنا، فوقع تصورك وفهمك على غير المراد فإن كان على المراد فلزم ما ذكرنا فبطل ما كانوا يعملون. وأما الاحتياج إلى الاستدلال في التوحيد على الظاهر فليس كما توهموا من اقتضاء مفهوم الواجب إياه وإنما هو مكنسة لغبار الأوهام، فإن الوهم المشوب بخلط ظلمة المعصية والإدبار عن الله سبحانه يصور شيئا ممكنا ذا حدود وأعراض ويسميه شريكا لله سبحانه إفكا وإلحادا، كما أنهم صنعوا الأصنام على صور شتى وسموها شركاء لله تعالى، وهذا التصور الباطل لما كان يفسد عليهم أمرهم في توجههم وإقبالهم وسير حقايقهم وكينوناتهم قيل لهم لا إله إلا الله ولا شريك له، وذكروا بعض الأدلة إذهابا لتلك الواهمة وإزالة لذلك الغبار وإلا فكيف يمكن التصور والإدراك لأن شريك الله يجب أن يكون جامعا لصفات القدس، فوجب

أن لا يكون له صورة ولا كم ولا كيف ولا جهة ولا حد ولا اقتران وإلا لكان محدوداً مركباً حادثاً، وليس في التصور إلا الصورة فكيف يمكن أن تكون تلك الصورة صورة الشريك لله سبحانه، فإذا نظروا إلى العين التي لا كيف فيها ولا حد ولا صورة ولا جهة فهناك يرتفع التمايز وتبطل الكثرة، فلا يشاهد إلا الوحدة، فأين إدراك الشريك، ولذا تجد أهل المعرفة والصديقين المخلصين لا يحتاجون إلى الدليل ولا يطلبونه بوجه من الوجوه، حتى يؤول أمرهم إلى أن لا يشاهدوا في الوجود سواه، كما قال مولانا الحسين روي فداه وعليه السلام في الدعاء (كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقبيا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً)^(١) الدعاء فافهم وفقك الله لما يجب ويرضى.

مراتب التوحيد

وأما مراتب التوحيد فاعلم أنها من حيث نفس التوحيد أربعة وهي:
توحيد الذات كما قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾^(٢). وتوحيد الصفات كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

(١) بحار الانوار ج ٦٤ ص ١٤٢ - ج ٩٥ ص ٢٢٦

(٢) النحل ٥١

شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾.

وتوحيد العبادة كما قال عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٢).

وتوحيد الأفعال كما قال عز وجل: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٣) وقال ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ (٤).

مراتب الموحدين

التوحيد الذاتي

ومن حيث الموحّد بكسر الحاء اثنتان إحداهما التوحيد الذاتي وهو توحيد الله سبحانه نفسه لنفسه كما قال تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (٥) وهذا التوحيد لا يتيسر لأحد من المخلوقين وفي هذا المقام قالوا (ما عرفناك حق معرفتك) أنا لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

التوحيد الصفاتي

والثانية التوحيد الصفاتي وهو توجه الخلق إلى توحيده سبحانه ومعرفته

(١) الشورى ١١

(٢) الكهف ١١٠

(٣) الرعد ١٦

(٤) فاطر ٤٠

(٥) ال عمران ١٨

بظهور آياته وصفاته، كما قال تعالى ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١) فكل الخلق يتوجهون إلى الله سبحانه بما تعرف لهم به، أي بما وصف نفسه لهم إذ لا تمكنهم معرفة ذاته تعالى على الحقيقة، فيجب أن يعرفهم نفسه بوصفه لهم إياها فلولا ذلك الوصف لا يمكن لأحد أن يعرفه تعالى، كما قال سيد الساجدين عليه السلام (بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت)^(٢) ومعنى أن الله عز وجل وصف نفسه لهم، أنه تعالى خلق فيهم صفة معرفته وهيكل توحيده، بحيث إذا عرفوا تلك الصفة عرفوا الله سبحانه بمقدار ما ظهر لهم مما يمكن في حقيقة ذاتهم والخلق كلهم يتوجهون إلى الله عز وجل ويوحدونه بتلك الصفة المودعة في حقايقهم، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام (بل تجلى لها بها وبها امتنع منها)^(٣) ولذلك سميناً توحيد المخلوقين بالتوحيد الصفاتي، وهذا التوحيد على أربع مراتب بحسب مراتب الشخص في وقوفه في العوالم.

توحيد العوالم

المرتبة الأولى توحيد العوالم أهل التقليد الذين لا يعرفون إلا الرسم وإلا الاسم لا الحقيقة ويسمى توحيدهم توحيد العبادة، حيث ظهر لهم الحق

(١) فصلت ٥٣

(٢) الاقبال ١٤٨

(٣) بحار الانوار ج ٤ ص ٢٦١ - الاحتجاج ج ١ ص ٢٠٤، نهج البلاغة ٢٦٩

بصفة المعبودية، وصدقوا الأنبياء والرسل والكتب، وآمنوا بمضمون ما قالوا من غير أن يذوقوا بقلوبهم ويدركوا بسرائرهم وكيوناتهم.

توحيد العوام الأعلى

والثانية توحيد العوام أيضا لكنهم في مقام أعلى، وهم الذين عرفوا الأثر واستدلوا به على المؤثر فكان استدلالهم إنيا، ويسمى ذلك التوحيد بتوحيد الذات لعدم خصوصية صفة خاصة واسم خاص كالأولى، وهذا شأن المتكلمين وحكماء المشائين والرواقيين.

توحيد الخواص

والثالثة توحيد الخواص وهم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام (ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله أومعه)^(١) وهؤلاء يستدلون على الأثر بالمؤثر، ودليلهم في معرفة الأشياء وحقايق الموجودات كلها لمي، ويرون الحق سبحانه أظهر من كل شيء، بل لا يرون ظهورا إلا ظهوره، ولا يشاهدون نورا إلا نوره، كما قال عليه السلام في الدعاء (ولا يرى فيه نور إلا نورك، ولا يسمع فيه صوت إلا صوتك)^(٢) وهذا التوحيد يسمى بالتوحيد الشهودي، وهو شأن أهل القلوب من الإشراقيين والربانيين.

(١) مفتاح الفلاح ٣٥٩

(٢) بحار الأنوار ج ٨٧ ص ٢٠٣ - البلد الأمين ١٣٣ - مصباح الكفعمي ١٢٦ - مصباح المتعبد ٤٨٠

توحيد الخصيصين

والرابعة توحيد الخصيص وهم أخص الخواص وهم الذين عرفوا الله بالله فنسوا أنفسهم ونسوا غيرهم ولم يجدوا ولم ينظروا إلا إلى الله صانعهم وبارئهم ودكوا جبل انيتهم وهو المسمى بالتوحيد الحقيقي، وهو شأن أولي الأئمة من الحكماء الإلهيين.

وتلك المراتب الأربع الأول تلحظ في هذه المراتب فتحصل ستة عشر مرتبة وهذا المجموع يلحظ في ثمانية مراتب، مرتبة الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، ومرتبة الأنبياء، ومرتبة الإنسان، ومرتبة الجن، ومرتبة الملك ومرتبة الحيوان، ومرتبة النبات، ومرتبة الجماد، والحاصل من ضرب المراتب الستة عشرة مع الثمانية هو كليات مراتب التوحيد، ولها مراتب آخر لا يسع الوقت لبيانها، وقد شرحت هذه المراتب بما لا يزيد عليه في تفسيرنا على آية الكرسي ومن أرادها مفصلاً فليطلب هناك عند بيان قوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(١).

وأما أركان التوحيد فهم قصبة الياقوت أي محمد وآله الطاهرون عليه وعليهم السلام وإنما كانوا أركاناً للتوحيد لأن التوحيد لا يتحقق إلا بهم وفيهم وعنهم لأنهم عليهم السلام، آيات الله العظمى التي أراها الله في الآفاق وفي أنفس الخلايق كما قال الصادق عليه السلام وأي آية أراها الله في الآفاق وفي أنفس الخلايق غيرنا وقال أمير المؤمنين عليه (ما لله نبأ

(١) البقرة ١٦٣

اعظم مني ولا لله آية أعظم مني)^(١) وهم معاني صفاته تعالى كما قال الباقر عليه السلام عن علي عليه السلام (نحن معاني الله ونحن علمه ونحن حكمه ونحن حقه) الحديث، وهم أبواب الله إلى خلقه وأبواب خلقه إلى الله كما قال عليه السلام في الزيارة (من أراد الله بدء بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم)^(٢) الزيارة، وهم عليهم السلام حملة علمه ومفاتيح غيبه وخزان سره وحفظة أمره ونبيه فلا يظهر التوحيد للخلق إلا بهم ولا يصدر إلا عنهم ولا يتحقق إلا فيهم وسنزيدك بيانا لإنشاء الله تعالى فيما بعد.

معنى الصفة

قال أيده الله تعالى: المسألة الثانية ما معنى الصفات الذاتية والفعلية؟. أقول: اعلم أن المراد من الصفة في هذا المقام هو الكمال والكمال المطلق للشيء هو ذاته لا غيره إذ كلما سوى ذاته ليس له، وغاية الكمال وأصله وينبوعه ومنشؤه الوحدة والبساطة وكلما سوى الوحدة والبساطة نقصان لرتبة الذات فتكون الكثرة والتعدد والاختلاف من لواحق الآثار والشئونات والأطوار لأن الكثرة والوحدة بينهما تضاد فلا تجتمعان لأن الكثرة علامة الحدوث والإمكان والوحدة آية القديم فيستحيل فرض

(١) شواهد التنزيل ج ٢ ص ٤١٧ - تفسير القمي ج ٢ ص ٤٠١ - تفسير الفرات ٥٣٣ - بحار الانوار ج ٣٦ ص ٣ - الكافي ج ١ ص ٢٠٧

(٢) الفقيه ج ٢ ص ٦١٥ - التهذيب ج ٦ ص ٩٩ - مستدرك ج ١٠ ص ٤٢٣ - بحار الانوار ج ٩٩ ص ١٣١ - البلد الأمين ص ٣٠٢

اجتماعهما في رتبة واحدة فلا كثير إلا الممكن ولا واحد إلا القديم الأزلي أو آية القديم، فعلى هذا فمقتضى الكمال المطلق للقديم أن يكون أحدي الذات وأحدي المعنى والكثرة والتعدد هناك، نقص يستحيل فرض تحققها هناك فالصفات إن أريد بها الجمع والتعدد يمتنع أن تكون في ذات الحق القديم تعالى وتقدس ولذا قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (كمال التوحيد نفى الصفات عنه لشهادة كل صفة على أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف على أنه غير الصفة وشهادة الصفة والموصوف بالاقتران وشهادة الاقتران بالحدث الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث)^(١) انتهى. وإن أريد بها الوحدة بلا فرض المغايرة والمخالفة لا في المفهوم ولا في المصداق لا في الوهم ولا في الخارج ولا في نفس الأمر فصحيح وإنما يراد بها الذات البحت الكامل المطلق الذي لا نقص فيه بوجه، وقد علمت أن الكمال المطلق في حق الواجب سبحانه هو الوحدة المطلقة الغير المشوبة بشيء من شوب الكثرة وخلط التعدد ولو بالفرض والاعتبار.

الصفات الذاتية

فمعنى الصفة الذاتية ليس إلا الكمال المطلق الذي هو عين الذات يعني هو الذات من غير فرض المغايرة بوجه ولكن لما كان الكامل المطلق له آثار وأفعال وأنوار، وتلك الآثار مختلفة اختلفت ظهورات ذلك الكمال المطلق بحسب اختلاف الآثار، فكل أثر منبئ عن صفة وتلك الصفة

(١) بحار الانوار ج ٤ ص ٢٨٤ التوحيد ٥٦

إنما امتازت عن غيرها في رتبة الأثر لا في ذات المؤثر، لكن هذا الإنباء على قسمين، إنباء عن اتصاف الذات بها يعني أن ذلك الأثر يحكي عن اتصاف الذات بها لا من حيث تلك الصفة الظاهرة في الأثر فإنها صفة رسم وحدوث، ولا من حيث التعدد والتكثر، فإنه إنما كان في الحدوث والكثرة في رتبة الأثر، بل من جهة الوحدة، لكن لا من حيث جهة تخالف جهة الذات، بل من حيث أنها عين الذات، وعين الصفة الأخرى، لما قلنا لك أن امتياز الصفات إنما كان من جهة المتعلق لا من جهة أصل الصفة التي هي الكمال المطلق، مثلاً إذا رأيت زيدا في مرايا متعددة مختلفة بحسب الألوان والأحوال ترى أمثلة مختلفة وتلتفت بتلك الأمثال والصفات إلى زيد الخارجي المقابل، وتصف زيدا بتلك الأوصاف لكن لا من جهة أن تلك الأوصاف الظاهرة في المرايا هي الموجودة في المقابل، ولا أن المقابل مقترن بها، ولا أنه مختلف متكرر بتكرر المرايا واختلافها في الألوان وسائر الصفات، فتحكم على زيد بتلك الصفات منزهاً له عنها وعالماً بأنها إنما اختلفت في المرايا لا في أصل الذات، وكذلك حين تقول الله عالم وقادر لا تلتفت بهما إلا إلى الذات الواحدة وتعلم أن العلم والقدرة إنما امتازا بحسب المتعلق أي المعلوم والمقدور وتعلم أيضاً بأن هذا العلم الظاهر في المعلوم والقدرة الظاهرة في المقدور، ليس هو الذات البحت وإلا اختلفت الذات وجاءت الكثرة فيما تمتنع فيه وإنما العلم هو عين القدرة وهما عين الذات والمتعلق هو الظهور، وكذلك حكم سائر الصفات وهذا القسم من الصفة ليس منحصر في الثمانية كما زعموا وتوهموا أن الصفات الثبوتية

ثمانية وإنما هي كل صفة يصح إثباتها لله سبحانه ولا يجوز سلبها وإثبات نقيضها له عز وجل، فكما تقول أنه عالم ولا تقول أنه جاهل وأنه قادر ولا تقول أنه عاجز وأنه حي ولا تقول أنه ميت وأمثالها من الصفات الكمالية التي تثبت بها ولا يصح إثبات ضدها ونقيضها ولتكن على بصيرة على أنها تثبت للذات عز وجل لا من جهة ملاحظة الخصوصيات والاعتبارات بل تثبت باعتبار أن كل واحد منها عين الآخر، لا من جهة أن هناك امتياز ليكون أحدهما عين الآخر ولا أن هذه الصفات الإضافية الرابطة المتعلقة بعينه تعالى وإلا لزم أن يكون الله عز وجل أمراً إضافياً نسبياً وقد أجمع المسلمون على بطلانه، ولا أن مدلول قولك الله عالم أن هذه القضية (الحملية) التي فيها موضوع ومحمول ونسبة حكمية وحكم ثابت في ذات الله عز وجل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولا أن هذا الحمل من باب الحمل المتعارف كما ذكرنا ولا الحمل الغير المتعارف كما في حمل الشيء على نفسه فإن في الحمل لا بد فيه من المغايرة ولوبالفرض والاعتبار، ولا يصح الحمل من غير فرض المغايرة مطلقاً سواء كان مفيداً أم لا، ولا أن مفهوم هذه الصفات متغايرة والمصداق واحد فإن هذا القول مزخرف فاسد، فإن المفهوم إذا كان مخالفاً للمصداق لم يكن ذلك مصداقاً له فإذاً فالقدرة المتعلقة بالمقدور والسمع المتعلق بالمسموع والبصر المتعلق بالمبصر والعلم المتعلق بالمعلوم ليس عين الذات وإنما هو ظهورات أفعاله وشئون آثاره إذ لا ربط للأشياء مع الذات القديمة وإلا لكانت الذات حادثة أو الأشياء قديمة، لأن المنتسبين مهما لم يكونا في رتبة واحدة استحالت النسبة لأنها

تعدم في رتبة إحداهما ولا تزال كذلك فأين الارتباط وذلك ظاهر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومثال ما ذكرنا هو أن السراج حقيقة واحدة ثابتة مستقلة نوره عين ذاته وهو ذاته بلا فرض المغايرة، فإذا لم يكن جسم كثيف كان السراج نورا ولا مستنيرا لأن وجود النور في السراج لا يشترط أن يكون هنا مستنيرا، فإذا وجد المستنير وقع نور السراج عليه ولا شك أن هذا الواقع على المستنير من جدار وغيره ليس عين النور الذي هو حقيقة ذات السراج وإنما هو أثره، لكنه مثاله وصفته للمستنير وذات السراج منزّه عن الجدار وعن النور الواقع عليه، وهذا معنى ما قال إمامنا ومولانا جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام على ما في الكافي (كان ربنا عز وجل والعلم ذاته ولا معلوم والقدرة ذاته ولا مقدور والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والقدرة على المقدور)^(١) وهذا معنى بعض الحديث ولا شك أن هذا الواقع ليس هو عين الذات وإلا لاختلفت حالاته.

الصفات الفعلية

والقسم الآخر هو أن الآثار تنبئ عن الصفات الكمالية المنسوبة إلى المبدأ لكن فيها اقتران وارتباط ونسبة والاقتران والنسبة والارتباط تستلزم الكثرة فحيث امتنعت الكثرات بكل الجهات في الذات البحت

(١) بحار الأنوار ج ٤ ص ٧١ أ ج ٥ ص ١٦١ - الكافي ج ١ ص ١٠٧ - التوحيد ١٣٩

البات تعين أن تكون تلك الصفات للفعل على أنه تثبت مرة وتنفي أخرى وتثبت الضد أخرى وما هذا شأنه يمتنع أن يكون في الذات القديمة الأزلية فتكون تلك الصفات ثابتة للفعل وذلك كالمشية والإرادة كما تقول سأفعل كذا إنشاء الله وإن أراد الله وقولك هذا دليل على أنه لم يشأ ولم يرد كما قال ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١)، ولم يرد الله أن يطهر قلوبهم للتقوى، وقد قال مولانا الرضا عليه السلام كما في التوحيد إن المشية والإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله لم يزل شائئاً) مريداً فليس بموحد)^(٢)، وكذلك سائر الصفات كالخالق والرازق والمحيي والمميت وأمثالها مما تثبت وتنفي وهذه الصفات كلها للفعل، ولكن لما كان الفعل مضمحلاً عند الذات وفانياً باطلاً لديها ما نسبت إليه إلا في مقام العلم وإلا فهي منسوبة إلى الله سبحانه لكن على المعنى الذي ذكرنا وأوضحنا.

أقسام الصفات

ثم اعلم أن الصفات على ثلاثة أقسام:

أحدها صفات القدس وهي صفات لا تعتبر في مفهومها الانتساب إلى الغير والارتباط بالآخر كالقدوس والسبحان والعزیز وأمثال ذلك.
وثانيها صفات الإضافة وهي التي تعتبر في مفهومها النسبة والارتباط

(١) التكوير ٢٩

(٢) مستدرک سفینه البحار ج ٤ ص ٢٤٦

والإضافة إلى الغير كالعلم والقدرة والسمع والبصر وأمثالها.
 وثالثها صفات الخلق وهي التي لها اقتران بالخلق وتعلق كوني وجودي
 به كخالق والرازق والمحيي والمميت وأمثالها.
 فصفات القدس هي ذات الله عز وجل على المعنى الذي ذكرنا،
 وصفات الإضافة مهما اعتبرت فيها النسبة والإضافة فهي من صفات
 الأفعال كالعلم المتعلق والقدرة المتعلقة وأمثالها، وإذا قطعت النظر عن
 النسبة والإضافة فهي عين الذات كالعلم إذ لا معلوم والقدرة إذ لا مقدور
 والسمع إذ لا مسموع والبصر إذ لا مبصر وغير ذلك فافهم، وأما صفات
 الخلق فهي حادثة خارجة عن حقيقة الذات البحت سبحانه وتعالى وإنما
 هي أسماء في رتبة الفعل والخلق والأثر، والفعل وصفاته حادثة والذات
 وصفاتها قديمة تدبر فيما ذكرت طويلا فتجد صحوا بلا غبار وشربا بلا
 أكدار وفقك الله لما يحب ويرضى.

معنى الاسم

قال: سلمه الله تعالى المسألة الثالثة ما أسماء الله وأقسامها.
 أقول: قد قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (الاسم ما أنبأ عن
 المسمى)^(١) الحديث، والصفة هي الاسم كما قال مولانا الرضا عليه السلام
 (صفة لموصوف)^(٢)، فكل صفة اسم وبالعكس، والاسم هو المنبئ عن

(١) بحار الانوار ج ٤٠ ص ١٦٢ - الفصول المختارة ص ٩١ - المناقب ج ٢ ص ٤٧

(٢) الكافي ج ١ ص ١١٣.

الشيء مطلقا ذاتا كان أو صفة لفظا كان أو معنى، فعلى هذا يتضح لك أن الأسماء على قسمين أسماء لفظية وأسماء معنوية لأن الإنباء كما يكون باللفظ يكون بالمعنى، فنور الشمس اسم لها لدلالته عليها، والدخان اسم للنار كذلك، ولما كان الخلق كلهم أجمعون بما هم فيه من ذات وصفة دالة على الله سبحانه بأكمل الدلالة وأوضحها بحيث لا دالة أعظم منها إذ ما عرف الله سبحانه إلا بظهوره في الخلق أي بإيجاده لهم وإحداثه إياهم، كانت الموجودات كلها أسماء لله عز وجل وصفات له فعلية فلا تجد إلا ذاتا واحدة وهو الواجب القديم تعالى وتقدس وكلما سواه أسماءه وصفاته كما قال الرضا عليه السلام (ليش شيء إلا الله وأسمائه وصفاته-) وهذا أعلى معاني التوحيد الصفاتي بأن لا يرى الموحد ذاتا لها صفات غير الله حتى يكون بذلك شركا بل لا يرى إلا ذاتا واحدة وكلما سواه من الذوات والصفات والقرانات والإضافات كلها صفات وأسماء دالة عليه ومنبئة عنه فكما تدل الأسماء اللفظية على الله سبحانه كالاسم الله والرازق وأمثالهما مع أنها مخلوقة كذلك، كل حقايق المخلوقات كلها دالة على وجوده سبحانه وعلمه وقدرته وحياته وسمعه فتكون أسماء له تعالى ولذا قالوا عليهم السلام: (نحن الأسماء الحسنی التي أمركم الله أن تدعوه بها-) وفي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: (السلام على اسم الله الرضي ونور وجهه المضيء)^(١)، إلا أن الأشياء لما كانت مختلفة في العلو والسفل والشرافة والكثافة والنورانية والظلمانية والإجمال والتفصيل والسعة

(١) بحار الانوار ج ٩٧ ص ٢٤٥ - فرحة الغري ٤٦

والإحاطة والضيق وأمثالها من الأحوال كانت مختلفة أيضا في الدلالة على الله سبحانه وعظمته وجلاله إذ لا شك أن الصنع كلما كان أتقن وأحكم كان ظهور جلاله الصانع وكماله فيه أعظم وأكثر فكلما يكون الخلق أوسع إحاطة وأعظم نورا كانت الدلالة أتم فتختلف في الاسمية وإليه الإشارة في دعاء السحر في شهر رمضان (اللهم إني أسئلك من أسمائك بأكبرها وكل أسمائك كبيرة)^(١).

آل محمد أكبر الأسماء وأعظمها

ولما كان محمد وآله صلى الله عليهم أشرف الخلق وأفضل الخلق وأصل الخلق ومبدأ الخلق فيكونون هم أشرف الأسماء وأعظمها وأجلها وأكبرها فهم المثل الأعلى والدعوة الحسنى وإليهم الإشارة بما في الدعاء بعد كل ركعتين من نافلة الليل (وبأسمائك الحسنى وأمثالك العليا ونعمك التي لا تحصى وبأكرم أسمائك عليك وأحبها إليك وأقربها منك وسيلة وأشرفها عندك منزلة وأجزلها لديك ثوبا وأسرعها في الأمور إجابة وباسمك المكنون المخزون الأكبر الأعز الأجل الذي تحبه وتمواه)^(٢) الدعاء، فالأسماء الحسنى هم الأئمة عليهم السلام من الأسماء المعنوية، وأكبر

(١) بحار الانوار ج ٩٤ ص ٣٦٩ ج ٩٥ ص ٩٣ - الاقبال ٣٣ - البلد الامين ٢٦٣ مصباح الكفعمي ٦٩٢ - مصباح المتهجد ٧٥٩

(٢) التهذيب ج ٣ ص ١٢٤ - بحار الانوار ج ٩٤ ص ٢٤٦ - ج ٩٥ ص ١٧٨ - الاقبال ٢٥٣ - البلد الامين ٢٣٣ - العدد القوية ١٦٢ - مصباح الكفعمي ٥٠ - مصباح المتهجد ١٣٩ - مفتاح الفلاح ٣٠٢ - مهج الدعوات ص ٢٤٤

الأسماء وأعظمها هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، والاسم المكنون المخزون هو رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ملاحظة ما ورد أنهم عليهم السلام الأسماء الحسنى.

ولا تستغرب من ذلك فكما أن الواضع سبحانه وتعالى ألف هذه الحروف أي الأسماء من الحروف الهجائية الثمانية والعشرون وركبها وربط بعضها ببعض حتى حصلت من تلك الهيئة التأليفية الدلالة على الله سبحانه وتعالى وصفاته وأحواله ولا شك أن الحروف أضعف تحققا وأقل دلالة من الذوات فكذلك الحق سبحانه ألف وركب حقيقة الخلق وماهيتهم وكيونتهم وربط بعضها ببعض حتى حصلت من ذلك التأليف الخاص المحكم المتقن الدلالة على التوحيد وعلى سائر المراتب والمقامات الحقية الواجبية، وتلك الخلقة والهيئة هي الفطرة المذكورة في أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام كما في قولهم: (كل مولود ولد على الفطرة ولكن أبواه يهودانه وينصرانه)^(١) وفي بعض الروايات ويمجسانه وفي القرآن فطرة الله التي فطر الناس عليها وقد عقد الصدوق (رحمه الله) بابا في كتابه التوحيد أن الفطرة هي التوحيد، فمعنى أن الله خلقهم على الفطرة أنه تعالى خلقهم على هيئة تأليف وتركيب تدل تلك الهيئة على توحيد الله سبحانه كما دلت هيئة تلك الكلمات والألفاظ مثل الحي القيوم وأمثالهما على كماله تعالى وتوحيده من غير فرق.

(١) الكافي ج ٢ ص ١٢ - بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٧٩ - ج ٣ ص ٢٨١ - الاقبال ٥٣٢ - تصحيح الاعتقاد ٦١ - شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١١٤ - عدة العوالي ٣٣٢ - عوالي اللآلي ج ١ ص ٣٥ - متشابه القرآن ج ١ ص ١٥١

موضوع الأسماء الإلهية

قال سلمه الله تعالى: المسألة الرابعة في أن الموضوع له للأسماء الإلهية ما هو؟

أقول: إن الأسماء اللفظية لا شك أنها حادثة، فقبل حدوثها هل كان ذات الله سبحانه مسمى بهذه الأسماء أم لا فإن قلت بلى فهو يحتمل وجهين أحدهما أنه كان مسمى بها بالفعل، والثاني أنه لم يكن مسمى بالفعل ولكن من شأنه ذلك، وهو أيضا مسمى بالذكر والصلوح، ولا شك في امتناع اختيار الوجه الأول لأنه كذب صريح وكذلك الثاني لأنه يستلزم أن لا يكون كلما لذات الله سبحانه فعليا حاضرا عنده، فتكون له حالة الانتظار لأنه قبل الاسم يصلح ويمكن أن يكون مسمى بعد وضع الاسم له فبعد ما وضع يكون ذلك الصلوح والإمكان بالفعل، وفرض الإمكان في الوجوب مما يأباه أولوا الأحلام والعقول فوجب أن لا يكون مسمى قبل وضع الاسم له، وقد اتفقت آراء العقلاء وأهل اللغة على أن المشتق لا يصدق قبل تحقق المبدأ ووجوده وإن اختلفوا في اشتراط بقائه عند الصدق وعدمه، ولذا قالوا أن اسم الفاعل والمفعول بمعنى المضارع والمستقبل مجاز، ولو صح ذلك لجاز أن يقال لمن لا يزني الزاني ومن لم يسرق ولا يسرق السارق ومن لم يظلم الظالم ومن لم يصل المصلي، وعلى هذا ينسد باب الكذب وهذا مما يأباه كل ذي عقل سليم وطبع مستقيم، وعلى هذا فلم يكن الله مسمى قبل وضع الاسم وحدوثه.

فإذا قلت أنه تعالى بعد ما وضع له الاسم كان مسمى في ذاته، فثبت

له حالتان حالة لم يكن فيها مسمى وهي قبل الوضع وحالة كان مسمى وهي بعد الوضع، واختلاف الحالات دليل الحدوث قال أمير المؤمنين عليه السلام (لم تسبق له حال حالا ليكون أولا قبل أن يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا)^(١)، ومع ذلك يلزم أن يكون الأثر مؤثرا في ذات الله عز وجل فإن تغيير الاسم ووضعه ليس لمجرد اللفظ وحده وإنما اختلاف الأسماء يدل على حصول تغير في الذات المسمى.

فإذا قلت أن ذات الله سبحانه لم يكن مسمى قبل الوضع ثم كان مسمى بعد الوضع، فإن قلت أن حالته الأولى هي حالته الثانية بعينها من غير فرق، قلت إذن فلا معنى لنفي كونه مسمىا قبل الاسم وإثباته بعده فيجب إما أن يكون إثبات مطلق أو نفي كذلك، فإن قلت بالفرق بين الحالتين، قلت ذلك لا يكون إلا بتجديد أمر في الذات حتى يحصل الفرق وذلك الأمر ليس بقديم وإلا لم يتخلف فيكون حادثا، فكان ذات الله محلا للحوادث ثم إن الحادث لا بد له من علة وعلة ذلك الأمر لا يصح أن تكون هي الذات من حيث هي وإلا لم يتأخر إذ لا مانع له مع وجود المقتضى فيكون أمرا خارجا عن حقيقة الذات يكون مقتضيا لذلك التغير في الذات حتى صار مقتضيا لتغيير الاسم وتجديده، ومرادي بهذا الاسم هو كونه مسمى وليس هنا أمر يقتضي ذلك، وإلا نفس وضع الاسم وإحداث اللفظ الخاص على الهيئة الخاصة، فكان الأثر مؤثرا في ذات المؤثر وهو في البطلان بمكان.

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ١١٢

فبطل أن يكون الاسم اللفظي موضوعاً للذات الأقدس سبحانه وتعالى أي اسم كان من غير استثناء، وأيضاً قد ثبت عندنا وعند العارفين كما نبين إنشاء الله تعالى أن بين اللفظ والمعنى مناسبة ذاتية، يعني أن بين كل لفظ ومعناه نسبة بها تخصص ذلك اللفظ لذلك المعنى دون غيره وهي علة الوضع الخاص، فلوفرز وضع الاسم للذات الأقدس لزماً مناسبة القديم مع الممكن وذلك باطل إذ لا يناسب القديم إلا الوحدة المحضة والغنى المطلق الغير المشوب بشيء من الفقر ولا يناسب الممكن إلا الكثرة المحضة ولذا اجمعوا واتفقوا على أن كل ممكن زوج تركيبى والفقر، المطلق كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١)، ولا منزلة بين الفقر المطلق والغنى المطلق وإلا لكان منزلة بين الواجب والممكن وذلك يستلزم أن لا يكون الشيء مخلوقاً بذاته حين كونه مخلوقاً بذاته والضرورة قاضية ببطلانه، فإذا بطلت النسبة بطل وضع الاسم للذات الأقدس سبحانه وتعالى، وأيضاً قد اتفق العقلاء على أن الأكوان الأربعة التي هي الحركة والسكون والاقتران والافتراق علامة الحدوث ودلت عليه الأدلة العقلية والنقلية.

ولا شك أن بين الموضوع والموضوع له ارتباط واقتران ولولا ذلك لامتنعت الدلالة وقد اتفقوا على هذا الارتباط الذي هو الاقتران وإن اختلفوا في أن هذا الارتباط إنما حصل بمجرد وضع الواضع أول للمناسبة الواقعية، فإذا كان الموضوع له هو ذات الله سبحانه لزماً اقتران القديم

بالحدث قال أمير المؤمنين عليه السلام: (وشهادة الاقتران بالحدث الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث)^(١)، فإذا بطل الاقتران بطل الوضع لأن الوضع ليس إلا جعل الواضع للموضوع له قرينا مع الموضوع وبالعكس حتى تؤثر تلك المقارنة، الدلالة على الموضوع له وذلك ظاهر مع أن الاسم صفة للمسمى، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (لشهادة كل الصفة والموصوف بالاقتران)^(٢) إلخ وأيضا قد اتفقت كلمتهم أن وضع الأسماء والألفاظ إنما هي لأجل المعرفة والإفادة والاستفادة، ولا شك أن المعرفة لا تتعلق بالذات البحث من حيث هي هي وإنما تتعلق بجهة ظهوراته في آثاره وأفعاله وسائر أحواله فلا فائدة إذن للوضع للذات إذ امتنعت معرفتها وإفادتها واستفادتها.

فإن قلت فعلى هذا يكون الموضوع له هو الذات من جهة ظهورها في الاعتبار.

قلت فحينئذ فالموضوع له بسيط أو مركب، ومعنى البسيط أن يكون الموضوع له هو الذات وحدها مع قطع النظر عن الظهور فيكون الموضوع له هو الذات من حيث هو هو وذلك خلاف المفروض، أو معنى المركب أن تكون الذات مع ملاحظة الظهور فالمجموع المركب هو الموضوع له، وحينئذ فهل هذا الظهور الذي جعلتموه مع الذات في رتبة واحدة وجزءا

(١) بحار الانوار ج ٤ ص ٢٢٧ - ج ٥٤ ص ٤٣ - الاحتجاج ج ٢ ص ٣٩٨ - تحف العقول ٦١ - التوحيد ٤٣ - عيون اخبار ج ١ ص ١٤٩

(٢) بحار الانوار ج ٤ ص ٢٢٧ - ج ٥٤ ص ٤٣ - الاحتجاج ج ٢ ص ٣٩٨ - تحف العقول ٦١ - التوحيد ٤٣ - عيون اخبار ج ١ ص ١٤٩

آخر للموضوع له هو عين الذات أم غيره فإن كان هو عين الذات بطل التركيب ورجع الكلام إلى الأول، وإن كان غير الذات فهل هو حادث أم قديم فإن كان قديما تعدد القدماء وقد بينا في المسألة الأولى ما يدل على بطلانه، وإن كان حادثا فيلزم تركب الشيء من الحادث والقديم وذلك باطل لأن الحادث معدوم في رتبة القديم فكيف يجتمع معه في رتبته حتى يكون المتحصل من الأمرين أمرا وحدانيا وهذا لا يمكن إلا عند اجتماع الأمرين في صقع واحد حتى يتحقق بينهما النسبة والارتباط، فإذا عدم أحدهما في رتبة الآخر تبطل النسبة فيفقد التركيب ويلزم أيضا أن يكون ذات الله حينئذ مركبا ضرورة أن التركيب لا يتحقق إلا بأمور أربعة ذات الأجزاء ونسبة أحدهما إلى الآخر ولذا قال تعالى ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾^(١) ولم يقل فردين والزوجان أربعة.

فإذا ثبت بالدليل القطعي أن ذات الله سبحانه لا يصح أن يكون لها من حيث هي اسم مطلقا سواء كان لفظيا أو معنويا ظهر لك أن الموضوع له الأسماء هي الظهورات الخاصة المتعلقة بالتعلقات، لأن الاسم للظاهر وليس إلا بالظهور وليس الظهور إلا نفس الأمر.

والظهور على قسمين ظهور عام وظهور خاص، فالعام هو المسمى بالاسم العام، والخاص هو المسمى بالاسم الخاص، فزيد اسم للظهور العام الكلي الساري في كل الظهورات والأحوال، فإذا ظهر بالكتابة مثلا قلت كاتب وإذا ظهر بالقيام قلت قائم وإذا ظهر بالقعود قلت قاعد وهكذا

سائر الصفات والأسماء وكل ذلك إنما حصل حين الظهور والتعلق فقبل
الظهور والتعلق انقطع الاسم والرسم والدلالة التي هي مفاد الاسم إنما
هي حين الظهور والتعلق كما هو المعلوم البين، فالقيام حينئذ اسم لظهور
زيد بالقيام وليس اسماً لذاته وإلا لم يكن القائم صفة بل كان مسمى والقيام
صفة، ولا شك أن القيام ليس صفة لزيد وإلا لصح التوصيف به ولا يجوز
أن تقول زيد قيام وإنما يقال زيد قائم فالقائم هو مثال زيد وظهوره بالقيام
لا ذات زيد، نعم لا فرق بينه وبين زيد في التعريف والتعرف والمعرفة
فمن عرف القيام عرف زيدا ولا شك أن حقيقة القائم صفة زيد وظهوره
لا ذاته ولذا قال النحاة في المشتقات أنها اسم الفاعل واسم المفعول ولم
يقولوا اسم الذات فإن الفاعل ليس في رتبة الذات لأنه ليس من الصفات
الذاتية وإنما هو في رتبة الفعل من حيث ظهور الذات لا نفس الذات،
ولما كان الظهور ليس ذاتاً كان مقامه مقام الفعل والخلق إذ لا واسطة
بين الذات والفعل، ولذا ترى الأئمة عليهم السلام يعبرون عن مثل هذه
الأسماء بأسماء الأفعال لأن الظهور منحصر في رتبة الفعل لكن لا من
حيث هو فعل بل من حيث الدلالة على الذات، ولذا ترى اسم الفاعل
كالضارب لا يدل إلا على الذات مع أن الفعل عامل فيه ومقوم له ومقدم
عليه وليس هذا العمل والتقدم لمجرد اللفظ وحده بل باعتبار مناسبات
حقيقية وإشارات غيبية معنوية من نوع ما أشرنا إليه.

فالذي وضعت الأسماء الإلهية كلها له إنما هو تلك الظهورات المتحققة
في رتبة الفعل وتلك الظهورات هي المقامات والعلامات التي لا تعطيل

لها في كل مكان كما في دعاء رجب عن الحجة عليه السلام : (وبمقاماتك
وعلاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق
بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقت فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك
وعودها إليك)^(١).

فإن قلت فعلى هذا كانت الأسماء كلها للأفعال فما معنى الصفات
الذاتية إذن.

قلت الفرق حينئذ فيما يراد من الألفاظ والأسماء لأن الذات البحث
القديمة سبحانه وتعالى لما كانت لا تدرك لذاتها فإنما تتوجه إليها بآياتها
وعلاماتها فتلتفت إليها مع قطع النظر عن تلك الآيات في نفسها كما أنني ما
إذا أردت أن أخاطبك أقول يا قائم مثلاً ولا أريد حين الخطاب ظهورك
بالقيام ولا يخطر ببالي ذلك أبداً وإنما أتوجه إلى ذاتك وأقصدها، وإنما
جعلت هذه اللفظة الدالة بالوضع على صفة من صفاتك وصلة ودليلاً
عليك وحدك إذ لا يمكنني الوصول إلى ذاتك من حيث هي فالمقصود من
قولي يا قائم إنما هو الذات وحدها وإن لم يكن اللفظ موضوعاً لها، ولكن
لما كان موضوعاً للصفة وهي باطلة مضمحلة عند ظهور الذات فألتفت
باللفظ وبالاسم إلى الذات التي قد غيبت كل الصفات من غير ملاحظتي
لمدلول اللفظ الذي هو تلك الصفة كما أنك حين ما تنظر إلى المرأة تلتفت إلى
المقابل الخارجي ولا تلتفت إلى المرأة ولا إلى خصوص الصورة بحدودها

(١) بحار الانوار ج ٩ ص ٣٩٢ - الاقبال ٦٤٦ - البلد الأمين ١٧٩ - مصباح الكفعمي ٥٢٩ - مصباح المتهجد
٨٠٣

وهيئتها واعواجها واستقامتها ولا يخطر ببالك حين الاستدلال على المقابل هذه الأمور أبداً مع أنك لا تنظر إلا إلى المرأة ولا تجد سواها ولا تصل إلى غيرها ولكن من جهة أنها صفة للغير ومثاله فغيب ذلك الغير بظهوره إياها فالناظر حين ظهور ذلك الغير وإرادة مشاهدته لا يلتفت إلى نفس المرأة بوجه من الوجوه، فكذلك القائم لا يدل إلى على صفة زيد وظهوره بالقيام ولكن لما كانت الصفة مضمحلة عند الذات وإنما هي سبيل وآية ودليل عليها ما التفت إليها مع قطع النظر عن خصوص مدلول اللفظ الذي هو الصفة فافهم هذا البيان المردد بالفهم المسدد.

فإذا نظرنا في الأسماء والألفاظ بهذا النظر قلت أنها الأسماء الذاتية وصفاتها مع قطع النظر عن الخصوصيات الأسمائية والصفاتية كما ذكرنا في المسألة المتقدمة.

فإن قلت فعلى هذا كانت الأسماء كلها ذاتية فما معنى تقسيمها إلى الذاتية والفعلية.

قلت نعم إذا نظرت في الأسماء كلها وما قصدت منها خصوصيات التعلقات والإضافات والقرانات بل جعلتها آية ودليلاً لمعرفة الذات والتوجه إليها من طريق الأسماء والصفات كما قال عليه السلام: (وأسماءه تعبير وأفعاله تفهيم وذاته إحقاقه وكنهه تفريق بينه وبين خلقه)^(١) الحديث رواه الصدوق في التوحيد والعيون، وأما التقسيم فذلك من جهة الملاحظات إذ قد تطلق ويراد بها خصوص المدلولات الوضعية في مقام

(١) بحار الأنوار ج ٤ ص ٢٢٧ - الاحتجاج ج ٢ ص ٣٩٨ - التوحيد ٣٤ - عيون الأخبار ج ١ ص ١٤٩

الإضافة والارتباط والتعلق، فحينئذ هي الصفات الفعلية الحادثة المتحققة في مقام الفعل والإرادة وليست هي من الصفات الذاتية كما إذا قلت عالم وأردت به العلم الإضافي النسبي المتعلق بالأشياء المنطبقة عليها ضرورة وجوب تطابق العلم مع المعلوم، وكذلك القدرة المتعلقة الواقعة فإن ذلك يستحيل أن يجعل حينئذ من الصفات الذاتية لأن التعلق والاقتران من صفات الحدوث وسمات الممكن فلا يجري عليه ما هو أجراه، فإذا قطعت النظر عن الاقتران والتعلق والإرادة والارتباط وتوجهت إلى صرف الذات مع قطع النظر عن التعلقات فحينئذ يقال أنها اسم للذات أي هي المقصودة منها وإن لم تكن موضوعاً بإزائها كما ذكرت لك من قولك يا قائم وإرادتك للذات مع قطع النظر عن الهيئة الخاصة التي هي الصفة وهي الموضوع له اللفظ، فعلى ما ذكرنا لك تبين أن المسمى يطلق على معنيين مرة يطلق ويراد منه المقصود والمراد من الاسم لا الموضوع له والمدلول عليه وهذا يطلق عليه سبحانه كما في الحديث: (من عبد الاسم دون المسمى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ومن عبد المسمى والاسم فقد أشرك ومن عبد المسمى دون الاسم) وفي رواية (بإيقاع الأسماء عليه فذاك التوحيد)^(١)، فالمسمى في هذا المقام يراد به ما يقصد من الاسم والمراد منه

(١) في الكافي ج ١ ص ٨٧: علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن الحسن بن محبوب، عن ابن رثاب وعن غير واحد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من عبد الله بالتوهم فقد كفر (١) ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلايته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقا. وفي حديث آخر: أولئك هم المؤمنون حقا.

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء

وهو الله سبحانه إذ لا تصح العبادة إلا له تعالى وليس المراد منه الموضوع له اللفظ فإن القول به كفر وزندقة كما سمعت، ومرة يطلق المسمى ويراد به المدلول والموضوع له وهذا لا يصح أن يطلق على الله سبحانه ولذا نفاه الإمام عليه السلام كما في الكافي إلى أن قال عليه السلام: (إن الله ليس المسمى) الحديث، أي بمقترن وموضوع له وهذا أقصى ما يعبر عنه في هذا المقام في ظاهر المقال.

وأما مقامات الباطن وشرح حقيقة الأحوال من جهة الحقيقة فذلك مما يجب كتمانها إلا عن أهله، وما هذا شأنه فلا يسطر في الكتاب والدفاتر وإنما يخزن في الضمائر فلو شافهتني وفقك الله لمراضيه بعدما أتقنت ما زبرت في هذه الكلمات ربما تحظى بالنصيب الأوفى من الرقيب والمعلّى والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى.

ظهور آيات الله في أئمة الهدى عليهم

قال سلمه الله تعالى: المسألة الخامسة ما معنى ظهور آيات الله تبارك وتعالى في أئمة الهدى عليهم الصلاة والسلام؟.

الله واشتقاقها: الله مما هو مشتق؟ قال: فقال لي: يا هشام الله مشتق من إله والاله يقتضي مألوها والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد أفهمت يا هشام؟ قال: فقلت: زدني قال: إن الله تسعة وتسعين اسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً ولكن الله معنى يدل عليه هذه الأسماء وكلها غيره، يا هشام الخبز اسم للمأكل والماء اسم للمشروب والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحرق أفهمت يا هشام فهما تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذين مع الله عز وجل غيره؟ قلت: نعم، قال: فقال: نفعلك الله به وثبتك يا هشام، قال هشام فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا.

أقول : اعلم أن الله عز وجل لما كان صمداً أزلياً لا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء ولا يحيط به شيء ولما كان الممكن في مقام الإمكان والفقر لا يصل إلى القديم سبحانه وهو لتعالى ذاته المقدسة لا ينزل إلى الإمكان امتنع إدراك معرفة الذات سبحانه لأن الشيء لا يتجاوز ما وراء مبدئه وذاته لأنه هناك ليس بشيء فكل أحواله من إدراكاته ومدرَكَاته وصفاته وتوصيفاته كلها في مقام ذاته وما تحتها من المقامات والمراتب من الأحكام التفصيلية ولما كانت الغاية في إيجاد الأكوان والأعيان هي معرفته تعالى كما قال في الحديث القدسي : (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف)^(١) وقال عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٢) ، والعبادة ثمرة المعرفة التي هي ثمرة المحبة أوبالعكس وكلاهما يصح وقد عرفت استحالة معرفة الذات الأقدس وجب عليه سبحانه أن يعرف نفسه للخلق ويصف لهم توحيده وأسماءه وصفاته وما أراد منهم مما يرقهم إلى غاياتهم ومراتبهم المقصودة من إيجادهم ، وإلا لزم أن يكون الخلق قد خلق عبثاً وترك سدى فلا تتم حكمة الإيجاد وهو سبحانه حكيم عليم ، فوصف سبحانه نفسه للخلق وعرفها إياهم ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾^(٣) (بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك) وقال أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء (يا من دل على ذاته بذاته)^(٤) ولما

(١) بحار الانوار ج ٨٤ ص ٩٨ أ ج ٨٤ ص ٣٤٤

(٢) الذاريات ٥٦

(٣) النحل . ٩٠

(٤) بحار الانوار ج ٨٤ ص ٣٩ أ ج ٩١ ص ٢٤٢

كان لله الحجة البالغة فوصف الله سبحانه يجب أن يكون أوضح وأجلى ما يمكن في الإيجاد في عالم الإمكان لئلا يكون للناس على الله حجة وليجري سبحانه وتعالى فعله على أكمل الاستقامة.

والوصف والبيان ينحصر في أمرين: أحدهما الوصف الحالي الشهودي

العياني

وثانيهما الوصف المقالي الحاصل بالألفاظ والعبارات والوصف الحالي هو الوصف بالأمثال والصفات لا بالمقال والعبارات ولا يستريب عاقل أن الوصف الحالي أجلى وأوضح من الوصف المقالي فيجب أن يصف الله سبحانه توحيده وصفاته وأسماءه وخلقه لخلقه بالتوصيف الحالي أي يخلق لهم أدلتها وأمثلتها وصفاتها ولما كان الوصف كلما يكون أقرب إلى من وصف له لئلا يحول بينهما حائل أحسن وأولى وليس شيء أقرب إلى الشيء من نفسه إليه، فجعل سبحانه أنفس الخلايق وحقايقهم صفة لجميع ما أراد منهم أن يعرفوه فحقايق الخلايق صفة توحيده وأسمائه وأفعاله وأحكامه وجميع ما يريد منهم بحيث إذا عرفوا أنفسهم على كمال ما ينبغي فقد عرفوا ربهم لأنه سبحانه تعرف لهم بهم وتجلي لهم بهم فحقيقتهم آية معرفة الله سبحانه ودليل توحيده وهو قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وآله : (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)^(١) وقول أمير المؤمنين عليه السلام: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(٢) وقول مولانا الصادق عليه السلام:

(١) جامع الاخبار ٤ - روضة الواعظين ج ١ ص ٢٠ - متشابه القرآن ج ١ ص ٤٤

(٢) بحار الانوار ج ٢ ص ٣٢٠ ج ٥٧ ص ٢٤٠ ج ٥٨ ص ٩٠ - شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢٩٢ - الصراط المستقيم

(العبودية جوهره كنهها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية قال الله تعالى ﴿سَرِيهِمْ أَيَّتَنَّا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١) الحديث، وتلك الخلقة على النمط المذكور هي الفطرة التي فطر الناس عليها وقد قالوا عليهم السلام: (كل مولود ولد على الفطرة ولكن أبواه يهودانه وينصرانه)^(٢) وقد عقد الصدوق (رحمة الله عليه) بابا في التوحيد أن المراد من الفطرة هي التوحيد وأورد أحاديث كثيرة عديدة على ذلك وذكرها يؤدي إلى التطويل ومن أرادها فليطلب ذلك الكتاب المستطاب.

فإذا فهمت ما ذكرنا علمت أن كل شيء قد فطر على التوحيد، ففي كل شيء حينئذ ظهور آيات الله سبحانه كما قال مولانا الحسين عليه السلام في دعاء عرفة على ما رواه في الإقبال والمصباح وغيرهما من الكتب المعتمدة (تعرفت إلي في كل شيء فرأيتك ظاهرا في كل شيء فأنت الظاهر في كل شيء بكل شيء) وأما أئمتنا الطاهرون وساداتنا المعصومون سلام الله عليهم فهم أعلى مظاهر تلك الآيات وأعلى تلك الأمثال بل هم مظاهر تلك الآيات والعلامات وسائر الخلق مظاهرهم، فمظاهر المظاهر مظاهر لأن الله سبحانه خلقهم في حجاب العظمة والقدس ولم يكن هناك خلق فقد تحملوا عن الله سبحانه في العالم الأول جميع المعارف والظهورات

ج ١ ص ١٥٦ - عوالي الالي ج ٤ ص ١٠٢ - متشابه القرآن ج ١ ص ٤٤ - مصباح الشريعة ١٣

(١) مصباح الشريعة ٧

(٢) بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٣٢٧ - تصحيح الاعتقاد ٦١ - شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١١٤ - عدة الداعي ٣٣٢ - عوالي اللالي ج ١ ص ٣٥

ومراتب التوحيد فحكوا المثل على الحقيقة كما قال تعالى: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)^(١)، والعبد المؤمن هو رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك حيث استخلصه الله في القدم على سائر الأمم وانتجبه آمرا وناهيا وأقامه مقامه في سائر عالمه في الأداء إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار كما قاله علي عليه السلام على ما رواه الشيخ في المصباح في خطبة علي عليه السلام يوم الغدير ويوم الجمعة، فلما خلق الله الخلق من شعاع أنوارهم وظهورات آثارهم فوصل إلى الخلق بواسطة ذلك الشعاع نور ما عندهم عليهم السلام من سر التوحيد والمعرفة والأسماء والصفات فما عندهم عليهم السلام الظهور الأولى الأصلي والتوحيد الحقيقي الامكاني وما عند غيرهم ظهور الظهور ومثل المثل بضم الميم والشاء المثلثة بل هم آيات الله سبحانه في سائر الخلق لأن ما سواهم من فاضل شعاعهم فلا يحكون إلا نورهم عليهم السلام ولا يصلون في أعلى مقاماتهم إلا إلى ظهورهم كالشعاع فإنه لا حظ له إلا معرفة نور السراج فيجعله دليلا للنار الموحدة للسراج، فالنار الغاية في السراج مثال فيض الله سبحانه فيهم عليهم السلام، والسراج مثال حقيقتهم في هذا المقام، والأشعة مثال سائر الخلق من المؤمنين، فإذا تأملت وجدت أن الشعاع ما يصل إلا إلى نور السراج لا إلى ذات السراج فلا يصل إلى النار بالطريق الأولى والسراج لا يصل إلى حقيقة النار أبدا لكن علمه بالنار وظهورها له أعلى وأعظم مما عند الشعاع بل لا نسبة

(١) بحار الانوار ج ٥٥ ص ٣٩

بينهما فالشعاع وإن كان يحكي النار ويتوجه إليها لكنه ما يصل إلا إلى السراج في مقامات ظهوره لا في مقام ذاته.

فعلى هذا فاجمع بين قوله صلى الله عليه وآله: (ما عرفناك حق معرفتك)^(١) وقوله صلى الله عليه وآله: (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت)^(٢) وقوله عليه السلام: (أي آية أكبر مني وأي نأ أعظم مني-) وقول مولانا الصادق عليه السلام (أي آية أراها الله سبحانه في الآفاق وفي أنفس الخلايق غيرنا) انتهى.

فاعلم من ذلك أن الخلق مثل المثل واسم الاسم وصفة الصفة وظهور الظهور وهم عليهم السلام الأصل وما عداهم فروع وأشعة وأظلة قال عليه السلام: (إنما سميت الشيعة شيعة لأنهم خلقوا من شعاع أنوارنا)، فافهم والله سبحانه ما ظهر للخلق وما ظهرت آياته إلا بهم عليهم السلام فهم أركان التوحيد وفي دعاء رجب: (فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر ألا إله إلا أنت)^(٣) وقال الجواد عليه السلام في الزيارة لأبيه عليهما السلام السلام على إقبال الدنيا وسعودها، ومن سئل عن كلمة التوحيد فقال: أنا والله من شروطها، السلام على شهور الحول وعدد الساعات وحروف لا إله إلا الله في الرقوم المسطرات^(٤) وفي هذا المقام غرايب من المعرفة يضيق الصدر بإظهارها ولا يضيق بكتمتها كما قال الشاعر:

(١) بحار الانوار ج ٦٦ ص ٢٩١ - ج ٦٨ ص ٢٣ - عوالي اللالي ج ٤ ص ١٣٢

(٢) تاويل الايات ١٤٥٢٢٧

(٣) البلد الامين ١٧٩

(٤) بحار الانوار ج ٩٩ ص ٥٤

ومستخبر عن سير ليل أجبته بعمياء من ليلي بلا تعيين
يقولون خبرنا وأنت أمينها وما أنا إن خبرتهم بأمين
والسلام وفيما ذكرت جواب جميع ما سألت على جهة الوضوح.

بيان الحروف

قال سلمه الله تعالى: المسألة السادسة فسر لنا بعض الرموزات الحرفية
أقول: اعلم أن الحروف عالم مثل عالم الذوات وفيها جميع ما في العالم من
الأحوال والأوضاع والقرانات والطبايع والصفات وسائر الأمور، وها أنا
أنبئك ما يجمع الكل فإن بيان الكل على جهة التفصيل يؤدي إلى التطويل
ولا يمكن الاستقصاء أيضا إذ لا نهاية لأحوالها ولا غاية لأطوارها فمن
وصل إلى بعض الرمز فاز بالكنز.

فاعلم أن الله سبحانه لما خلق الذوات وكينونات الحقائق في مقام
التفاصيل جعل لكل ذات صفة ولكل معنى صورة والحروف صفات
الذوات وحاملة آثارها وترجمان أحكامها مرآة شئوناتها، فلولاهم لم تظهر
صفات الذوات وأحكام الكينونات الغيبية في عالم الشهادة بل في كل
عالم لأن الحروف لها مراتب إذ لا تنحصر في الألفاظ الحسية الجسمية
أو النقشية بل لها مراتب أربعة فعددية وفكرية ولفظية ورقمية.

فالعددية هي القوى المستجنة في كل حرف.

والفكرية هي الحروف الغيبية المجردة فبرزخية مثالية ونفسية ملكوتية
وروحية راقية وعقلية معنوية.

واللفظية هي المؤلفة المقطعة من الهواء المصاغة بالضغط والقرع والقلع.

والرقمية هي الصور المكتوبة المنقوشة ولكل منها أحكام وآثار يترتب عليها، ولما كانت الصفة على طبق الموصوف وكانت مراتب الذوات ثمانية وعشرين تقررت الحروف أيضا على ثمانية وعشرين حرفا فبإزاء كل رتبة حرف لوجوب المناسبة والمراعاة بين الصفة والموصوف ولما كانت كل مرتبة لها جهات ثلاثة، جهة إلى صرف مبدئه فهو حينئذ حرف من اسم مبدئه لما ذكرنا سابقا من جهة كونها صرف الدلالة عليه و جهة كونه أثرا للمبدأ ومتلقيا الفيض من المبدأ، وجهة صرف الإنية والماهية المظلمة المدلهمة فالجهة العليا نور محض وخير بحث من جهة الإضافة. والجهة الثانية لما كانت مشوبة بالعليا والسفلى فما قربت إلى العليا قويت فيها جهة النور وما بعدت عنها قويت فيها جهة الظلمة وأما الجهة السفلى فهي منكسة الرأس بعيدة عن الخير والنور والسرور والحبور ظهرت الحروف على هذه الجهات الثلاثة.

فأول المراتب في الوجه الأعلى للعالم هو اسم الله البديع فبإزائه الألف من الحروف التي هي الأعلى، وأولها في الجهة الوسطى العقل وبإزائه الألف أيضا في الوجه الأوسط، وأولها في الوجه الأسفل الشر المحض الجهل الكلي وبإزائه الألف المنكوسة هكذا صورتها (—) .

وثاني المراتب في الوجه الأعلى الباعث وبإزائه الباء من الحروف في الوجه الأعلى، وثانيها في الوجه الأوسط النفس الكلية وبإزائها الباء في

الأوسط، وثانيها في الوجه الأسفل الباطل الثرى وبإزائها الباء المنكوسة هكذا (ب) .

وثالث المراتب في الأعلى اسم الله الباطن وبإزائه الجيم في الأعلى، وثالثها في الأوسط الطبيعة وبإزائها الجيم في الأوسط، وثالثها في الوجه الأسفل الباطل الطمطم وبإزائها الجيم المنكوسة (2) .

ورابع المراتب في الأعلى اسم الله الآخر وبإزائه الدال في الأعلى، ورابعها في الأوسط المادة الكلية جوهر الهباء وبإزائها الدال في الأوسط ورابعها في الأسفل الباطل الفاسد جهنم في الطبقات السبعة وبإزائها الدال المنكوسة هكذا (ع) .

وخامس المراتب في الأعلى اسم الله الظاهر وبإزائها الهاء في الأعلى، وخامسها في الأوسط المثال شكل الكل وبإزائها الهاء في الأوسط، وخامسها في الأسفل الباطل ربح العقيم وبإزائها الهاء المنكوسة هكذا (ط) .

وسادس المراتب في الأعلى اسم الله الحكيم وبإزائها الواو في الأعلى، وسادسها في الأوسط جسم الكل وبإزائها الواو في الأوسط، وسادسها في الأسفل البحر وبإزائها الواو المنكوسة هكذا (e) .

وسابع المراتب اسم الله المحيط وبإزائها الزاء في الأعلى، وسابعها في الأوسط العرش محدد الجهات وبإزائها الزاء في الأوسط، سابعها في الأسفل الحوت وبإزائها الزاء المنكوسة هكذا (i) .

وثامن المراتب في الأعلى اسم الله الشكور وبيازائها الحاء في الأعلى،
وثامنتها في الأوسط الكرسي وبيازائها الحاء في الأوسط، وثامنتها في
الأسفل الباطل الثور وبيازائها الحاء المنكوسة (2).

وتاسع المراتب في الأعلى اسم الله الغني وبيازائها الطاء في الأعلى،
وتاسعها في الأوسط فلك البروج وبيازائها الطاء في الأوسط، وتاسعها في
الأسفل الصخرة وبيازائها الطاء المنكوسة هكذا (3).

وعاشر المراتب اسم الله المقتدر وبيازائها الياء في الأعلى، وعاشرها في
الأوسط فلك (المنارل) وبيازائها الياء في الأوسط، وعاشرها في الأسفل
بهموت وبيازائها الياء المنكوسة (4).

وحادي عشر المراتب اسم الله الرب وبيازائها الكاف في الأعلى، وحادي
عشرها في الأوسط فلك زحل وبيازائها الكاف في الأوسط، وحادي عشرها
في الأسفل الباطل أرض الشقاوة وبيازائها الكاف المنكوسة (5).

وثاني عشر المراتب في الأعلى اسم الله العليم وبيازائها اللام في الأعلى،
وثاني عشرها في الأوسط فلك المشتري وبيازائها اللام في الأوسط، وثاني
عشرها في الأسفل أرض الإلحاد وبيازائها اللام المنكوسة (6).

وثالث عشر المراتب في الأعلى اسم الله القاهر وبيازائها الميم في الأعلى،
وثالث عشرها في الأوسط فلك المريخ وبيازائها الميم في الأوسط، وثالث
عشرها في الأسفل أرض الطغيان وبيازائها الميم المنكوسة (7).

ورابع عشر المراتب اسم الله النور وبيازائها النون في الأعلى، ورابع
عشرها في الأوسط فلك الشمس وبيازائها النون في الأوسط، ورابع

عشرها في الأسفل أرض الشهوة وبيازائها النون المنكوسة (ن).
وخامس عشر المراتب في الأعلى اسم الله المصور وبيازائها السين في
الأعلى وخامس عشرها في الأوسط فلك الزهرة وبيازائها السين في الأوسط
وخامس عشرها في الأسفل أرض الطبع وبيازائها السين المنكوسة (س).
وسادس عشر المراتب في الأعلى اسم الله المحصي وبيازائها العين
في الأعلى، وسادس عشرها في الأوسط فلك عطارد وبيازائها العين في
الأوسط، وسادس عشرها في الأسفل الباطل أرض العادات وبيازائها
العين المنكوسة (ز).

وسابع عشر المراتب في الأعلى اسم الله المبين وبيازائها الفاء في الأعلى،
وسابع عشرها في الأوسط فلك القمر وبيازائها الفاء في الأوسط، وسابع
عشرها في الأسفل الباطل أرض الممات وبيازائها الفاء المنكوسة (ف).
وثامن عشر المراتب في الأعلى اسم الله القابض وبيازائها الصاد في
الأعلى، وثامن عشرها في الأوسط كرة النار وبيازائها الصاد في الأوسط،
وثامن عشرها في الأسفل الباطل كمثل الكلب وبيازائها الصاد المنكوسة
(ق).

وتاسع عشر المراتب في الأعلى اسم الله الحي وبيازائها القاف في الأعلى،
وتاسع عشرها في الأوسط كرة الهواء وبيازائها القاف في الأوسط، وتاسع
عشرها في الأسفل الباطل السموم وبيازائها القاف المنكوسة (ق).
والعشرون من المراتب في الأعلى اسم الله المحيي وبيازائها الراء في الأعلى
والعشرون منها في الأوسط كرة الماء وبيازائها الراء في الأوسط والعشرون

منها في الأسفل الباطل بحر الأجاج المالح وبإزائها الرء المنكوسة (ع).
والحادي والعشرون من المراتب في الأعلى اسم الله المميت وبإزائها
الشين في الأعلى والحادي والعشرون منها في الأوسط كرة الأرض
وبإزائها الشين في الأوسط والحادي والعشرون منها في الأسفل الباطل
أرض السبخة وبإزائها الشين المنكوسة (ش).

والثاني والعشرون من المراتب في الأعلى اسم الله العزيز وبإزائها التاء
في الأعلى والثاني والعشرون منها في الأوسط المعدن وبإزائها التاء في
الأوسط والثاني والعشرون منها في الأسفل الحجارة والحديد وبإزائها
التاء المنكوسة (ت).

والثالث والعشرون من المراتب اسم الله (الرازق) وبإزائها التاء في الأعلى
والثالث والعشرون منها في الأوسط النبات وبإزائها التاء في الأوسط والثالث
والعشرون منها في الأسفل النبات المر وبإزائها التاء المنكوسة (ث).

والرابع والعشرون من المراتب في الأعلى اسم الله المذل وبإزائها الخاء
المعجمة في الأعلى والرابع والعشرون منها في الأوسط الحيوان وبإزائها
الخاء المعجمة في الأوسط والرابع والعشرون منها في الأسفل المسوخ
وبإزائها الخاء المنكوسة (ج).

والخامس والعشرين من المراتب في الأعلى اسم الله القوي وبإزائها الذال
في الأعلى والخامس والعشرون منها في الأوسط الملك وبإزائها الذال في
الأوسط والخامس والعشرون منها في الأسفل الشياطين وبإزائها الذال
المنكوسة (ح).

والسادس والعشرون من المراتب في الأعلى اسم الله اللطيف وبإزائها الضاد في الأعلى والسادس والعشرون منها في الأوسط الجن وبإزائها الضاد في الأوسط والسادس والعشرون منها في الأسفل شياطين الجن وبإزائها الضاد المنكوسة (هـ).

والسابع والعشرون من المراتب في الأعلى اسم الله الجامع وبإزائها الظاء في الأعلى والسابع والعشرون منها في الأوسط الإنسان وبإزائها الظاء في الأوسط والسابع والعشرون منها في الأسفل شياطين الإنس وبإزائها (لـ).

الظاء المنكوسة والثامن والعشرون من المراتب في الأعلى اسم الله رفيع الدرجات والثامن والعشرون منها في الأوسط الجامع عليه السلام وبإزائها الغين في الأوسط والثامن والعشرون منها في الأسفل إبليس لعنه الله تعالى وبإزائها الغين المنكوسة (ز).

فهذه هي مراتب الموجودات وبإزاء كل موجود في كل مرتبة حرف تؤثر تأثيره وتعمل عمله وتفعل فعله إذا قدرت بالميزان الطبيعي فكل حرف بإزائها الخواص المختصة بكل مرتبة فيشار بها إليها فكما أن العوالم والمراتب الغير المتناهية إنما حصلت من قرانات هذه المراتب بعضها مع بعض كذلك اللغات والأوضاع والكلمات الغير المتناهية إنما حصلت من قرانات هذه الحروف بعضها مع بعض وهذا الذي ذكرت لك مفتاح كل مشكل والله الهادي إلى الصواب وبه يظهر أسرار السنة والكتاب.

أنواع الحروف

واعلم أن في الحروف حروف متحايية وحروف متصادقة وحروف فكرية وحروف رقمية وحروف متواخية ومفردة وصامتة وناطقة وظاهرة وباطنة ومتصلة ومنفصلة وخاصة وعامة وروحانية وجسمانية وعلوية وسفلية وجمالية وجلالية وليلية ونهارية وشرقية وغربية وشمالية وجنوبية وثابتة وساقطة ومتحركة وساكنة وبسيطة ومركبة ومذكورة ومؤنثة وشمسية وقمرية وعقلية وحسية وغالبة ومغلوبة وسعدية ونحسية وفاتحة وخاتمة ووترية وشفعية ولطيفة وكثيفة وحيوانية ونباتية ومعنوية ونارية وهوائية ومائية وترابية.

فأما المتحايية ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق وعدتها (٢٠) وكل حرف له نتائج وبسايط وقد يطلق عليها المتصادقة. وأما (المتصادقة) فهي حروف ا هـ ط م ف ش ذ مع حروف ب و ي ن ص ت ظ وحروف ج ز ك س ق ث ض.

وأما المتعادية فهي الأحرف الأول مع د ح ل ع ر خ غ والأحرف الثانية مع الأحرف الثالثة فتدبر.

وأما الحروف الفكرية فهي التي تكون في حديث النفس في اختراع أمر من الأمور الكلية وتجمعها الثلاثة والثلاثون حرفا كما ورد في الحديث عن الرضا عليه السلام على ما رواه في عيون الأخبار والتوحيد^(١).

(١) في التوحيد ص ٤٣٥ وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٧٣ اعلم أن الإبداع والمشيئة والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة وكان أول إبداعه وإرادته ومشيته الحروف التي جعلها أصلا لكل شيء ودليلا على كل مدرك و فاصلا لكل مشكل وتلك الحروف تفريق كل شيء من اسم حق وباطل أو فعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى و عليها اجتمعت الأمور كلها ولم يجعل للحروف في إبداعه

وأما الحروف الرقمية فهي على نوعين وذلك بأعداد جملي للحروف
وأعداد رقم الهندي بقلم أهل الهند ويسمونه بقلم الأنوار ومثال الأول
الألف أحد والباء اثنان والجيم ثلاثة إلى آخر الحروف ومثال الثاني الألف
١ الباء ٢ ج ٣ د ٤ وهكذا إلى آخرها.

وأما الحروف المتواخية فهي المزدوجة مثل ب ت ث ج ح وأمثالها.
وأما المفردة فهي التي لا يكون لها حرف بين الحروف يماثلها مثل ا هـ
م وك.

وأما الصامتة فهي اح درس ص ط ع ك ل م.
وأما الناطقة فهي مثل م ن و وهذا مذهب أهل المغرب وأما أهل
المشرق فإنهم يقولون هي الحروف ذوات النطق.
وأما الظاهرة فهي التي يتلفظ الشخص عند النطق.
وأما الباطنة فهي التي تظهر في النطق لا في الخط كالألف في الله والرحمن
وتطلق أيضا على تكسير الحروف.

لها معنى غير أنفسها يتناهى ولا وجود لأنها مبدعة بالإبداع والنور في هذا الموضع أول فعل الله الذي
هو نور السماوات والأرض والحروف هي المفعول بذلك الفعل وهي الحروف التي عليها الكلام و
العبارات كلها من الله عز وجل علمها خلقه وهي ثلاثة وثلاثون حرفا فمنها ثمانية وعشرون حرفا تدل
على اللغات العربية ومن الثمانية والعشرين اثنان وعشرون حرفا تدل على اللغات السريانية والعبرانية
ومنها خمسة أحرف متحرفة في سائر اللغات من العجم لأقاليم اللغات كلها وهي خمسة أحرف تحرفت
من الثمانية والعشرين الحرف من اللغات فصارت الحروف ثلاثة وثلاثين حرفا فأما الخمسة المختلفة
فبحجج لا يجوز ذكرها أكثر مما ذكرناه ثم جعل الحروف بعد إحصائها وإحكام عدتها فعلا منه كقوله عز
وجل كُنْ فَيَكُونُ وكن منه صنع وما يكون به المصنوع فالخلق الأول من الله عز وجل الإبداع لا وزن
له ولا حركة ولا سمع ولا لون ولا حس والخلق الثاني الحروف لا وزن لها ولا لون وهي مسموعة
موصوفة غير منظور إليها والخلق الثالث ما كان من الأنواع كلها محسوسا ملموسا ذا ذوق منظورا إليه و
الله تبارك وتعالى سابق للإبداع لأنه ليس قبله عز وجل شيء ولا كان معه شيء والإبداع سابق للحروف
والحروف لا تدل على غير أنفسها.

وأما المتصلة فهي التي إذ كسرت وبسطت الحروف تجمع كل حرف على طبيعته وتنظم المناسب.

وأما المنفصلة فهي التي تكررت وقت التكسير.

وأما الخاصة فهي حروف المراتب مثل ا ب ج د.

وأما العامة فهي حروف الدقائق وما بعدها إلى آخر مراتبها مثل ذ ض ظ غ.

وأما الروحانية مثل الألف وما شاكلها في المرتبة.

وأما الجسمانية فمثل ح ص ض أصحاب أجسام في تشكيلها.

وأما العلوية فهي حروف المراتب والسفلية هي حروف الدقائق.

وأما النهارية فهي النورانية وهي ص ر ا ط ع ل ي ح ق ن م س ك هـ.

وأما الشرقية فهي ايقنع بكر جلش دمت هنت وسخ زعد حفص طصظ.

وأما الغربية فهي اعهطنفش إلى آخرها.

وأما الجنوبية فهي منصع ثخذ.

وأما الشمالية وهي ابجد هو ز حط وهي أصل في الأعداد.

وأما المتحركة فمثل الخاء وما شاكلها.

وأما البسيطة فهي الحروف الهجائية والمكسرة ومعنى التكسير تفكيك

الاسم وبسطه وتفصيله بالحروف المقطعة.

وأما المركبة فهي الحروف المؤلفة المجتمعة من البسط والتكسير.

والمذكورة فهي أصول الحروف من الألف إلى الطاء والمؤنثة مثل (هـ)^(١)
حروف يتلفظ بحرف الهاء.

وأما الشمسية فهي الحروف الحارة وأما القمرية فهي الحروف الباردة.
والعقلية هي حروف المراتب والدرج.

والحسية هي الحروف الشفوية كما أن العقلية هي حروف الحلق.
والغالبية ما كان عددها وترا والمغلوبة ما كان عدد بسايطها زوجا.
والسعيدة في أوائل السور والنحسة ق ش ج ث ظ ح ذه.
والفاتحة مثل ال و ت ي والخاتمة مثل م ا ي ن.

والوترية ما كان بسايطه ثلاثة أحرف أو خمسة والشفعية ما كانت أربعة
أوستة.

واللطيفة هي النورانية والكثيفة هي الظلمانية وهي الليلية.
والنباتية ب ه ح ل ك ن ر ق ت د ع، والحيوانية ف ج ه ك ن ر د ت
ض، والمعدنية ح و ط ل س ص ش خ لا.

وأما حروف الطبائع والمراتب والدرجات فانظر في هذا الجدول
فاعرفها

(١) كان هكذا في الأصل.

مقامات الطبايع	نارية	ترابية	هوائية	مائية	قل في الأنبياء
المراتب	ا	ب	ج	د	ابرهيم عليه السلام
الدرجات	هـ	و	ز	ح	هرون عليه السلام
الدقائق	ط	ي	ك	ل	موسى عليه السلام
الثواني	م	ن	س	ع	ادريس عليه السلام
الثالث	ف	ص	ق	ر	يوسف عليه السلام
الرابع	ش	ت	ث	خ	عيسى عليه السلام
الخوامس	ذ	ض	ظ	غ	آدم عليه السلام

ونسبة المرتبة إلى الدرجة وهي إلى الدقيقة وهكذا إلى آخرها قيل أنها ثلاثون وقيل عشرة ولكل وجه فزن مقادير الحروف بهذا الميزان فإذا وقع التعارض والتنافي بين الحروف المتعادية فاعرف مراتبها من هذا الجدول ثم عد لها بما يناسب مقامها ومرتبها من الحروف المصلحة لها كما هو المقرر عندهم.

وأما الحروف الساقطة فهي التي تسقط عند الطرح أو عند البسط أو غير ذلك من الأحوال والثابتة تقابلها .

واعلم أن الحروف على ثلاثة أقسام مكتوب وملفوظ ومسرود، فما كان من الحروف ثنائية تسمى مسرودة وما كان ثلاثية فإن كان أولها عين آخرها كالميم والنون والواو فهي ملفوظة وإلا فمكتوبة، ولها تقسيم آخر لأنها تنقسم إلى جبروتية وملكوتية وملكية فما كان من حروف الحلق فهي جبروتية وما كان من حروف الوسط فملكوتية وما كان من حروف الشفة فملكية، ولها تقسيمات أخرى ويتفرع على كل منها تصريح وأحكام وتأثيرات غريبة عجيبة يطول بذكرها الكلام والاطلاع عليها موكول إلى كتب أهل الجفر إلا أن الذي ذكرت كليات العلم فالتلفظ يلتفت إلى الرمز ويستخرج الكنز والله الهادي للصواب وعليه المعول في المبدأ والمآب.

قال سلمه الله تعالى: المسألة السابعة ما المراد من الحروف المقطعة في القرآن.

معنى الحروف المقطعة

أقول: اعلم أن جل العلوم بل كلها من تفاصيل أحوال الخلق أغلبها على جهة الواقع والحقيقة إنما تستفاد من الحروف المقطعة القرآنية من جهة ذاتها وصفاتها وقراناتها واتصالاتها وانفصالاتها وطبايعها وأوضاعها وعلوياً وسفليها ومجردها وماديتها وحارها وباردها ورطبها ويابسها ومرتبها ودرجاتها ودقائقها وثنائيتها وثنائثها وروابعها وخوامسها ونورانيها وظلمانيها وأفلاكها وعناصرها ونجومها وبروجها ومنازلها وملائكتها وشياطينها وسائر أحوالها من إعرابها من ضمها وفتحها وكسرها ورفعها

ونصبها وجرها وجزمها وسكونها وبنائها وغيرها وسائر شئونها بسائر قراناتها فإن لكل واحد من هذا المجموع له نسبة إلى المجموع وتؤثر كل نسبة مع المجموع استخراج حكم خاص من الأحكام الوجودية، ولا نهاية لهذه القرانات والأحوال فلا غاية إذن للأسرار القرآنية.

وإلى نوع ما ذكرنا ينظر قول مولانا الباقر عليه السلام على ما رواه في التوحيد إلى أن قال عليه السلام: (لو شئت لاستخرجت جميع ما يحتاج إليه الخلق من لفظة الصمد)^(١) وقول مولانا أمير المؤمنين عليها السلام: (أن كل ما في القرآن في الحمد وكلما في الحمد في البسملة وكلما في البسملة في الباء وكلما في الباء في النقطة وأنا النقطة تحت الباء)، ونوع وكيفية الاستخراج والاستنباط ما أشرنا إليك من ملاحظة نسبة هذه الحروف والكلمات بعد التقطيع ومشاهدة ما قبلها من الحروف أي يمينها ويسارها وفوقها وتحتها فإن لكل حرف لها يمين ويسار وفوق وتحت مثل الألف فإن يمينها الغين ويسارها الباء وفوقها الياء وتحتها القاف والباء يمينها الألف ويسارها الجيم وفوقها الكاف وتحتها الراء فإذا أردت وضعها عند نسبة هذه الجهات فارسمها هكذا :

ل	ك	ي
د	ب	ص
ج	ج	ب
ش	ر	ض

(١) في التوحيد للشيخ الصدوق ص ٩٢ : قال الإمام الباقر عليه السلام (لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عز وجل حملة لنشرت التوحيد والاسلام والايان والدين والشرائع من الصمد).

فإذا لوحظت هذه النسبة التي أشرنا إلى قليل من أنواعها تستنبط العلوم والمعارف والإخبار بالمغيبات وما تكنه الضماير وتستجنه السرائر ووقوع الحادثات المستقبلية وتحقيق الأحوال الماضية والواردات الخالية مما عندك والمشرق والمغرب، فإن الحروف مظاهر الابتداع والاختراع وبها جرى التأثير والفعل في العوالم العلوية والسفلية كما قال مولانا الرضا عليه السلام على ما رواه في العيون (إن أول خلق الله الاختراع والابتداع ثم خلق الحروف فجعلها فعلا منها يقول للشيء كن فيكون) والقرآن هو أعلى مظاهر الفعل الظاهر في الكينونات بسر الحروف فيكون بتلك الحروف مشتملا على جميع أسرار الفعل ولذا قال تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (١) ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٢) ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٣) ولا يطلع على تلك الأسرار بتلك الأطوار إلا محمد وآله الأطهار الأبرار عليه وعليهم سلام الله مادام الليل والنهار إذ لا تقتضي كينونات الخلايق أن يدركوها ويعرفوها ويحيطوا بها، نعم قد علموا بعض خواص الشيعة نوعها وشرذمة من بعض تفاصيل أحوالها وذلك مما يصعب بيانه ويعسر برهانه فطبيها أولى من شرحها وإن كانت قد ذكرت بالنوع يدركها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وهذا هو الحكم في الحروف المقطعة في جميع القرآن إذا قطعت الكلمات وفصلتها حروفا.

(١) يوسف ١١١

(٢) الأنعام ٣٨

(٣) النحل ٨٩

وأما الحروف المقطعة في أوائل السور فاعلم أنه اختلفت أقوال المفسرين فيها اختلافا فلا نتعرض لذكرها إذ لا فائدة فيها، وأما ما ورد التصريح به في الأخبار فقد ورد تفسير ﴿الْمَرْ﴾ أنا الله أعلم، وفي تفسير ﴿الْمَرْ﴾ أنا الله أعلم وأرى، وورد أيضا أن الألف إشارة إلى الله وأن اللام إشارة إلى جبرئيل وأن الميم إشارة إلى محمد صلى الله عليه وآله يعني أن هذا القرآن نزل من الله سبحانه بواسطة جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله، وورد أيضا أنها حروف الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب وهو الاسم اللفظي لا الاسم الأعظم المعنوي، فإن تأثير الثاني لأناس مخصوصين والأول لكل أحد فإذا أراد الإمام عليه السلام أن يدعو الله سبحانه بذلك الاسم يؤلف من هذه الحروف اسما كيف يشاء فيدعو الله به وذلك مكتوم يتفردون به سلام الله عليهم لا يشاركونهم سواهم.

وورد أيضا أنها بيان التواريخ كما في حديث أبي لبيد المخزومي عن الباقر عليه السلام أن ألم تاريخ خروج النبي صلى الله عليه وآله، و ألم تاريخ خروج الحسين عليه السلام، و ﴿الْمَصَّ﴾ تاريخ خروج الفاسق المهدي العباسي لعنه الله، و ألم تاريخ خروج المهدي مولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه وعليه السلام^(١) وذلك بالحكم الوضعي و(يمحو الله ما يشاء

(١) في تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٠٢: عن أبي لبيد المخزومي عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا بالبيد ان في حروف القرآن لعلمنا أن الله تبارك وتعالى أنزل: ألم ذلك الكتاب فقام محمد صلى الله عليه وآله حتى ظهر نوره وثبتت كلمته، وولد يوم ولد وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين ثم قال: وتبيناه في كتاب الله في الحروف المقطعة، إذا عدتها من غير تكرار، وليس من حروف مقطعة حرف تنقضي أيامه الا وقائم، من بنى هاشم عند انقضائه، ثم قال: الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون والصاد ستون (فذلك مائة واحد وثلاثون ثم كان بدو خروج الحسين بن علي عليه السلام ألم الله، فلما بلغت مدته قام قائم من ولد العباس عند ألمص، ويقوم قائمنا عند انقضائها بألم فافهم ذلك وعه واكتمه.

ويثبت وعنده أم الكتاب)، وورد أيضا عن العسكري عليه السلام ما وجد بخطه الشريف روي فداء أن (طه والطواسين) أيضا إشارة إلى ذلك كما قال عليه السلام بعد كلام له (وشيعتنا الفئة الناجية وسينفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران لتمام ألم وطه والطواسين)^(١).

وورد في تفسير ﴿كَهَيْعَصَ﴾ أنه الإشارة إلى الأسماء الإلهية أي الكافي والهادي والولي والعالم والصادق^(٢).

وورد أيضا عن الحجة عليه السلام أن الكاف إشارة إلى كربلاء والهاء إشارة إلى هلاك العترة الطاهرة عليهم السلام والياء إشارة إلى يزيد لعنه الله تعالى والعين إشارة إلى عطش أهل بيت الرحمة جعلني الله فداءهم والصاد إشارة إلى صبرهم على تلك المصائب الجليلة والرزايا العظيمة^(٣).

(١) بحار الانوار ج ٧٥ ص ٣٧٧

(٢) في تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج ١ ص ٧٥ : عن الحسن ، وزيد بن أسلم وثانيها : إن المراد بها الدلالة على أسماء الله تعالى ، فقوله تعالى : (الم) معناه : أنا الله أعلم . (والمر) معناه : أنا الله أعلم وأرى . (والمص) معناه : أنا الله أعلم وأفضل . والكاف في (كهيعص) من كاف . والهاء من هاد . والياء من حكيم . والعين من عليم . والصاد من صادق ، عن ابن عباس . وعنه أيضا : إن (الم) الألف منه تدل على اسم الله . واللام تدل على اسم جبرائيل . والميم تدل على اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(٣) في مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٣٧ : سأل اسحاق الاحمر الحجة (عجل الله فرجه) عن قول الله تعالى (كهيعص) ، فقال : هذه الحروف من أنباء الغيب اطلع الله عليه عبده زكريا ثم قصها على محمد (صلى الله عليه وآله) وذلك ان زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة فأهبط عليه جبرئيل وعلمه إياها وكان زكريا إذا ذكر محمدا وعيا وفاطمة والحسن والحسين سرى عنه همه وانجلي كربه وإذا ذكر الحسين غلبته العبرة ووقعت عليه الزفرة فقالت ذات يوم : إلهي إذا ذكرت أربعا منهم تسليت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي فأنبأه الله في قصته فقال : كهيعص ، فالكاف اسم كربلاء ، والهاء هلاك العترة ، والياء يزيد وهو ظالم للحسين ، والعين عطشه ، والصاد صبره . فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع الناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب ويقول : إلهي أتفجع خير خلقك بولده إلهي أتزل الرزية بفنائه إلهي أتلبس عليا وفاطمة ثياب هذه المصيبة إلهي أتحل هذه الفجيعة بساحتها ، ثم كان يقول : اللهم ارزقني ولدا تقر به عيني على الكبر واجعله وارثا رضيا يوازي محله مني الحسين فإذا رزقتني فافتنني بحبه ثم افجعني به كما تفجع محمدا حبيبك بولده فرزقه يحبي وفجعه به ، وكان حمل يحبي ستة أشهر ، وحمل الحسين ستة أشهر ، وذبح يحبي كما ذبح الحسين ولم تبك السماء والارض إلا عليها.

وورد في تفسير طه ﴿ طه ﴾ أنه اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله، ولما كان صلى الله عليه وآله يتعبد لله سبحانه ويقوم قايما على رجليه الشريفة حتى تورمت قدماه نزلت الآية ﴿ طه ﴾ ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ أي طاها ولا تجعل نفسك في المشقة.

وورد في تفسير يس ﴿ يس ﴾ عن ابن عباس يا إنسان أو يا سيد الأولين والآخرين^(١)، وورد أنه اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله وآل يس أي آل محمد صلى الله عليه وآله وهو قلب القرآن، وورد في تفسير الصاد أنه بحر تحت العرش وهو الماء الذي كان العرش عليه قبل خلق السموات والأرض وعن أمير المؤمنين عليه السلام : (لوصب خردل حتى ملأ الفضاء وسد ما بين الأرض والسماء وأنت لو عمرت كلفت مع ضعفك أن تنقل حبة حبة من المشرق إلى المغرب حتى ينفد لكان ذلك أقل من جزء من مائة ألف جزء من رأس الإبرة مما بقي العرش على الماء قبل خلق السموات والأرض واستغفر الله عن التحديد بالقليل)^(٢) انتهى.

(١) في تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج ٨ ص ٢٥٩ : المعنى : (يس) قد مضى الكلام في الحروف المعجمة عند مفتتح السور في أول البقرة ، واختلاف الأقوال فيها . وقيل أيضا : يس معناه يا إنسان ، عن ابن عباس ، وأكثر المفسرين . وقيل : معناه يا رجل ، عن الحسن ، وأبي العالية . وقيل : معناه يا محمد ، عن سعيد بن جبير ، ومحمد بن الحنفية . وقيل : معناه يا سيد الأولين والآخرين . وقيل : هو اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، عن علي بن أبي طالب ، وأبي جعفر عليه السلام .

(٢) في بحار الأنوار ١٠ / ١٢٦ أنه عليه السلام قال (أ رأيت إن صب خردل في الأرض حتى يسد الهواء و ما بين الأرض والسماء ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من مقدار المشرق إلى المغرب و مد في عمرك و أعطيت القوة على ذلك حتى نقلته و أحصيته لكان ذلك أيسر من إحصاء عدد أعوام ما لبثت عرشه على الماء من قبل أن يخلق الله الأرض و السماء و إنما وصفت لك عشر عشر العشير من جزء من مائة ألف جزء و أستغفر الله عن التقليل والتحديد).

وورد في تفسير حم أنه اسم محمد صلى الله عليه وآله كما ورد في قوله تعالى: ﴿حَمَّ﴾ ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(١) أن حم هو رسول الله صلى الله عليه وآله والكتاب المبين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (إنا أنزلناه) أي عليا عليه السلام (في ليلة مباركة) وهي الصديقة الطاهرة (فيها يفرق كل أمر حكيم) أي يمتاز كل إمام حكيم بعد إمام حكيم.

وورد في تفسير ﴿حَمَّ﴾ ﴿عَسَقَ﴾ ﴿أَنْ حَمَّ اسْمُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلِمَ عَلِيٌّ كُلَّهُ فِي عَسَقٍ﴾، فالعين إشارة إلى عقله عليه السلام والسين إشارة إلى نفسه والقاف إشارة إلى جسمه الشريف عليه السلام وهذه المراتب هي مواقع العلوم على الإطلاق ولا يشذ علم عن هذه المراتب.

وورد في تفسير ﴿قَ﴾ ﴿أَنَّهُ جَبَلٌ مِنْ زَمْرَدَةٍ خَضِرَاءَ مُحِيطٍ بِالدُّنْيَا وَعَلَيْهِ أَطْرَافُ السَّمَاءِ وَمِنْهُ خَضِرَةُ السَّمَاءِ﴾.

وورد في تفسير ﴿نَ﴾ ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ﴿أَنَّ النُّونَ مَلِكٌ يُوْدِي إِلَى الْقَلَمِ وَهُوَ مَلِكٌ يُوْدِي إِلَى اللُّوحِ وَهُوَ مَلِكٌ﴾، انتهى.

وهذا ما وقفت عليه من تفاسير هذه الحروف المقطعة عن أهل البيت عليهم السلام من جهة التصريح.

وأما التلويح والإشارة فيظهر من تلويحات الأخبار وإشاراتنا وبواطنها

(١) الدخان ١-٤

تفاسير غريبة عجيبة لهذه الحروف المقطعة وذكر الجميع يؤدي إلى التطويل، وليس لي الآن ذلك الإقبال لتوفر الأشغال لكنك اعلم مجملًا أنك إذا حذفت مكررات هذه الحروف تخلص أربعة عشر حرفًا كلها من الحروف النورانية وهي ص ر ا ط ع ل ي ح ق ن م س ك هـ ويجمعها قولك (صراط علي حق نمسكه) وفيها إشارة إلى سر القرآن وأنه ما ظهر وما تم وما وضح إلا بالهياكل الأربعة عشر، ثم أشار إلى أسرار هذه الهياكل النورانية التي هذه الحروف صفاتها ومظاهرها بذكر مراتب الحروف ففيها من الحروف الملفوظة اثنان إحداهما الميم والثانية النون فجعل الميم في الأول والنون في الآخر للإشارة إلى الأول والآخر والظاهر والباطن لإظهار سر (بكم فتح الله وبكم يختم)، ودلالة كون محمد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء وهم عليهم السلام خاتم الأوصياء أنهم الفاتح لما دل الدليل القطعي على أن كل خاتم هو الفاتح وإليه الإشارة بما في حديث الشمس حين سلمت على علي عليه السلام بمحضر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وقالت: (السلام عليك يا أول يا آخر ويا ظاهر ويا باطن)^(١) الحديث، والحديث معروف مشهور، فابتدأ بالميم للإشارة إلى البدو إذ بدو ظهور الكون في أربعين مقامًا ثلاثون لإتمام القابليات وعشرة لظهور المقبول كما في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(٢) فقد أشار باللام إلى الثلاثين المراتب المتقدمة في القوس الصعودي وبالميم إلى اجتماع المراتب وبالألف

(١) الفضائل ٦٩- كتاب سليم ٩٣٣

(٢) الاعراف ١٤٢

إلى المبدأ الفاتح، فإن البسملة إذا عدتها هي تسعة عشر حرفاً وهي قوى الواحد والواحد استنطاقه الألف المتحركة والبسملة هي الاسم الأعظم كما دلت عليه الأخبار وشهد له صحيح الاعتبار والله سبحانه خلق الخلق بأسمائه كما في الدعاء وباسمك الذي خلقت به كذا وكذا إلى آخر الدعاء، فالألف هي الإشارة إلى المبدأ لفظاً ومعنى، واللام إلى ظهور القابليات، والميم إلى اجتماع القوابل مع المقبولات، فبالميم تم الكون الأول فاقضى أن يكون الميم في الأول إشارة إلى الأصل والفرع، والنون هي الإشارة إلى العود لأن النون هي بحر الصاد وذلك نهاية مقام المعراج حين ما نودي (يا محمد صلى الله عليه وآله ادن من صاد وتوضاً لصلاة الظهر) فافهم.

وفيه من الحروف المكتوبة سبعة وهي الصاد والألف والعين واللام والقاف والسين والكاف وهي الإشارة إلى السبع المثاني كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ (١) وقال مولانا الباقر عليه السلام: (نحن المثاني الذي أعطانا الله نبينا) (٢) وأسماءهم صلى الله عليه عليهم سبعة بعد حذف المكرر.

وفيه من الحروف المسرودة خمسة وهي الطاء والياء والحاء والراء والهاء وهي الإشارة إلى التوحيد لأن الخمسة استنطاقها هاء، والهاء إذا أشبعت تتولد منها الواو فيتم اسم (هو) الذي هو من الاسم الأعظم وهو ميادين التوحيد لأنها أحد عشر، خمسة منها فيها ظلمة وهلاك وخمسة منها فيها نور ونجاة وواحدة فيها ظلمات ورعد وبرق فأشار بالخمسة

(١) الحجر ٨٧

(٢) الكافي ج ١ ص ١٤٣ - بصائر الدرجات ٦٥

إلى المقامات النورية التي استبطنت في الاسم (الله) فلما ذكرت الستة التي هي مقامات الواو ظهرت كلمة التوحيد التي هي لا إله إلا الله وفي دعاء رجب: (فيهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر ألا إله إلا أنت)^(١) وفي الزيارة (وحروف لا إله إلا الله في الرقوم المسطرات)^(٢) فلنقبض العنان فللحيطان آذان فافهم وفقك الله لما يحب ويرضى، ولولا خوفاً من أشباه الناس لأطلقت عنان القلم في هذا الميدان ولكن لكل شيء أجل مقدر قال أيده الله تعالى: المسألة الثامنة وكم مقدار فضل محمد صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام .

فضل النبي على أمير المؤمنين عليهما وأهلها السلام

أقول: هذا سر غامض فإن التفاضل بين أئمتنا المعصومين عليهم السلام شيء لا تصل إليه أفهامنا ولا تدركه عقولنا وأحلامنا ولا تعه أسماعنا لأن أحوالهم فوق ذكرنا وذاتنا والشيء لا يجاوز ما وراء ذاته، فأنى للرعية ومعرفة ذوات الأئمة عليهم السلام حتى يعرف مقادير تفاضل بعضها على بعض، فنسبتنا إليهم كما قال تعالى حكاية عنا لا فرق بين أحد من رسله ونسبتهم عليهم السلام إلينا كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (كلنا محمد صلى الله عليه وآله أولنا محمد وآخرنا محمد)^(٣) صلى الله عليه وعليهم السلام أجمعين، فلا فرق بينهم في جميع العلوم والأسرار

(١) البلد الامين ١٧٩

(٢) بحار الأنوار ج ٩٩ ص ٥٤ .

(٣) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ١٦

والأحوال المتعلقة بالمخلوقين بأسرهم بأسرها وهو قولهم عليهم السلام: (كلنا في العلم سواء) وقوله عليه السلام: (حتى لا يكون آخرنا أعلم من أولنا)^(١) الحديث، ولكن لهم عليهم السلام مراتب ومقامات في المراتب الذاتية حسب اختلافهم في تقدم الإجابة لما سألهم سبحانه ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فكان رسول الله صلى الله عليه وآله أول من أجاب داعي الحق ولبي نداءه كما قال صلى الله عليه وآله (إني فضلت على النبيين لأنني كنت أول من أجاب داعي ربي حين قال ألسنت بربكم)^(٢) ثم بعد إجابته صلى الله عليه وآله أجاب علي عليه السلام وهذا الاختلاف في إجابتهم إنما وصل إلينا بإخبارهم عليهم السلام وإلا فنحن قاصرون لإدراكه، والتفاوت بين الإجابتين هو مقدار الفضيلة وقد حدد هذا التفاوت في بعض الأخبار كما في رواية جابر عنه صلى الله عليه وآله حين سأله عن أول المخلوقات قال صلى الله عليه وآله: (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر فكان يطوف حول جلال القدرة ثمانين ألف سنة فلما وصل إلى جلال العظمة خلق منه نور علي عليه السلام فكان نوري يطوف حول جلال العظمة ونور علي عليه السلام يطوف حول جلال القدرة) انتهى، فبين صلى الله عليه وآله مقدار التفاضل وهو ثمانون ألف سنة فحيث لا زمان هناك ولا تقدير هذه الليالي والأيام ترجع السنة إلى المرتبة فيكون محمد صلى الله عليه وآله

(١) الكافي ج ١ ص ٢٥٥ - بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٩٢ - الاختصاص ٣١٣ - بصائر الدرجات ٣٩٢

(٢) في الكافي ج ١ ص ٤٤١ عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَيِّ شَيْءٍ سَبَقَتْ الْأَنْبِيَاءُ وَأَنْتَ بَعِثْتَ آخِرَهُمْ وَخَاتَمَهُمْ قَالَ إِنِّي كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِرَبِّي وَأَوَّلَ مَنْ أَجَابَ حِينَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ نَبِيٍّ قَالَ بَلَى فَسَبَقْتُهُمْ بِالْإِقْرَارِ بِاللَّهِ.

أفضل من علي عليه السلام بثمانين ألف مرتبة وبذلك التأخر تحققت العبودية في قوله عليه السلام : (أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله)^(١)، وهذا لا ينافي كونها حقيقة واحدة لأن المراد هو الظهور بالتعين والتشخص في مقام الامتياز لأن مقام النبي صلى الله عليه وآله هو مقام الإجمال وهو مقام النقطة ومقام علي عليه السلام مقام التفصيل وهو الألف وقد تقدم مراتب وجوده على مراتب وجود علي عليه السلام في المقامين مقام الغيب والشهادة، والمرتبات أربعون وهي القبضات العشر المأخوذة من أفلاك ذلك العالم أي عالم النقطة الظاهرة في أربعة أدوار دورة المعدن ودورة النبات ودورة الحيوان ودورة الإنسان بحسب ذلك العالم البسيط على جهة البساطة والشرافة والوحدة ودلت على الأعلى مقامات الأسفل لقول الله تعالى : ﴿سَرِيهِمْ أَيْتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٢) وقال مولانا الرضا عليه السلام : (قد علم أولوالألباب أن ما هنالك لا يعلم إلا بما ههنا).

فإذا اعتبرت مقام نشو النقطة في باطنها عن بارئها وجدتها على هذه المراتب ونشوها في ظاهرها بذكر المتعلقات فيها وجدتها على هذه المراتب وكل مرتبة تقابل ألف مرتبة مما عندنا فإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون فكان ثمانون ألف رتبة وهي مقامات فضل محمد صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام وقد ظهر ذلك في اسمه الشريف حيث زيد

(١) الكافي ج ١ ص ٨٩ - بحار الانوار ج ٣ ص ٢٨٣ - الاحتجاج ج ١ ص ٢١٠ - التوحيد ١٧٤

(٢) فصلت ٥٣

الميمان للإشارة إلى هذه الدقيقة وإلا فهما صلى الله عليهما يتفقان ويجتمعان بحسب الاسم بملاحظة ظهور المبدأ في مادة الحمد والفرق إما بزيادة الألف ليكون أحمد أو بزيادة الميمين ليكون محمد صلى الله عليه وآله، فلك أن تقول أن النبي صلى الله عليه وآله أفضل من علي عليه السلام لكونه أعلم منه في معرفة التوحيد بحرف واحد في مقام أحمد أو ثمانون ألف حرف في مقام الاسم محمد، أو قل أعلم منه بحرف واحد مشتملة على ثمانين ألف جهة، أو قل بكلمة واحدة مشتملة على ثمانين ألف حرف.

واعلم أن التفاضل إنما هو منحصر في العلم بالله لا سواه، والعلم بالله إنما يتصور للعالم في مقام ذاته لا في مرتبة صفاته وشرح ذلك يطول به الكلام وكأنه ظاهر يقرب حد الضرورة ولا منافاة في ذلك مع قوله صلى الله عليه وآله: (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت)^(١) فإنه صلى الله عليه وآله يريد أن غاية المعرفة الممكنة بعده منحصرة فيه عليه السلام لا أنهما متساويان في العلم بالله وإلا لما كان أحدهما أفضل من الآخر ضرورة وجوب تساويهما في كل ما سواه من الأحوال المتعلقة بالخلق، ثم إن تلك الأحوال معرفتها لا تورث شرفاً إذ لا شرافة لغير الله ولا فخر لما سواه فالمتعلق بغير الأفضل لا يكتسب فضلاً أصلاً كمن عنده الخزف مع من عنده جوهرة فافهم، هذا ظاهر الكلام من أقصى ما يمكن عنه التعبير بالكتابة لأهل العموم

يقولون خبرنا وأنت أميتها وما أنا إن خبرتهم بأمين

(١) تأويل الايات ١٤٥-٢٢٧

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال وفقه الله لمراضيه: المسألة التاسعة ما معنى الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين؟.

معنى الجبر

أقول: أما الجبر فهو جعل الشيء على خلاف ما يقتضيه ويلزمه القول بأنه الخلق على غير ما هو عليه، فالاختلاف في الأشياء على القول بالجبر ينسب إلى نفس إرادة الخالق الجاعل لا إلى شيء سواه وفيه لزوم الترجيح من غير مرجح وهم يلتزمون بذلك فيجعلون نسب الأشياء بعضها ببعض من الأمور الاتفاقية حسب جعل الجاعل لا لاقتضاء بينهما ونسبة حقيقية بينهما وقالوا أن الله سبحانه أجرى عادته أن يخلق شيئاً بعد شيء وإن سئلوا عن سبب جريان هذه العادة واختصاصها يقولون إن ذلك بلا سبب وترجيح من غير مرجح وهو تعالى لا يسأل عما يفعل، وقالوا إن الله تعالى خلق الأفعال من الخير والشر ولا دخل للعبد فيه فحين ما يخلق الزنا في زيد ويخلق الصلاة في عمرو، ولا خبث في زيد اقتضى ذلك ولا حسن في عمرو يقتضي ذلك، فإذا لا مدح يرجع إلى عمرو ولا ذم إلى زيد وتشبثوا في ذلك ببعض الآيات والأخبار المتشابهة التي أوردت كذلك لاستنطاق سرايرهم الخبيثة واستعلام بواطنهم الفاسقة المدهمة، وفي الحقيقة هذا القول يقرب إلى السوفسطائية بل هو قولهم حقيقة والأدلة الثلاثة من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن

مع شرايطها الأربعة ومتمماتها ومكملاتها التي هي الكتاب المحكم والسنة المعلومة والعقل المستنير والعالم من الآفاق والأنفس التي أرى الله سبحانه آياته فيها إيانا ناصة على بطلانه وفساده لضرورة أن الله سبحانه ذم المسيئين ومدح المحسنين وليس ذلك إلا لقبح السيئة ومدح الحسنة فإذا كان هو سبحانه الفاعل لذلك قبح الذم والمدح بالضرورة ولكان المحسن أولى بالإساءة من المسيء لأن الإحسان إنما أجري فيه من غير اقتضائه وطلبه بل كان يطلب الإساءة ويقتضيها، إلا لم يكن الجبر، ولكان المسيء أولى بالإحسان من المحسن لما ذكرنا ولا ظلم أعظم من أن يجعل الشخص كافرا ثم يحرقه بالنار ويعذبه بأنواع العذاب لأنه كفر، ويجعل الشخص مؤمنا ثم يشبه ويمدحه ويدخله الجنة وينعم عليه بأنواع النعم، ولا جهل أعظم من أن يكلف أحدا ما ليس في وسعه أو يكلف ما لا يسعه خلاف، ولا كذب أعظم من القول بعد ذلك ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (١) فإن نسبة الفعل إلى غيره وهو الفاعل لذلك الفعل كذب وافتراء تعالى الله سبحانه عما يقوله الملحدون والمشبهون علوا كبيرا.

وإذا نظرت إلى دليل الموعظة الحسنة وجدت فساد هذا القول لأن الله سبحانه كامل مطلق وقادر مطلق يجب أن يجري فعله على أحسن الكمال

لئلا يقول أحد لو كان كذا لكان أحسن، فإذا كان كذلك فلا شك ولا ريب أن إجراء فعله على جهة الاختيار وجعل المخلوقين مختارين ذوو شعور وإدراك واختيار وإرادة أولى وأحسن من أن يجعلهم مجبورين، ولا ريب أن المختار أشرف من المضطر المجبور فيجب أن يختار المختار لا المضطر ويجري فعله ومفعوله على جهة الاختيار إذ لا شك أنه قادر على ذلك ومتمكن منه.

وأما دليل الحكمة فاعلم أن الجبر لا يمكن تصوره والتعبير عنه لأن الإيجاد يستحيل من غير الانوجد فإذا قلت أن الله سبحانه أوجد هذا الشيء فهل هو انوجد أم لا فإذا لم ينوجد لم يوجد وإذا انوجد وجد والضمير في الانوجد يرجع إلى الشيء المخلوق لا إلى الفاعل الخالق كما في قوله تعالى ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(١) فإن الضمير الفاعل في فيكون يرجع إلى الشيء ولا يرجع إلى المكون ضرورة إذ لا ريب أن الشيء حين حدوثه يكون له جهتان، جهة إلى نفسه وبها تحكم عليه وتشير إليه وتقول هو، وجهة إلى ربه وبها تسنده إلى خالقه وتجعله أثرا ولا تجري عليه حكم التمييز، ومن نسبة هاتين الجهتين واقترانهما حصل الاختيار للشيء المركب من هاتين الجهتين وهما الضدان في قوله تعالى ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ^(٢) وقول مولانا الرضا عليه السلام (إن لم يخلق شيئا فردا قائما بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده فالله تبارك وتعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ولا يعضده

(١) البقرة ١١٧.

(٢) الذاريات ٤٩.

و لا يـكنـه و الخـلق يـمسـك بـعضـه بـعضـا بإذن الله و مشيـتـه و هو قـولـه تـعالـى ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١) الحديث
فإذا حصل الاختيار بطل الاضطرار لأن الانوجداد من باب المطاوعة لا
المكرهة فبطل الجبر إذن.

معنى التفويض

وأما التفويض فهو القول بأن الله سبحانه خلق الخلق وهياً لهم الأسباب
والآلات والاختيار والشعور والإدراك والقدرة على الفعل وعدمه ثم
فوض الأمر إليه يعني رفع يده عن المكلف كالوكيل فإنه يجعل الموكل له
كلما يحتاج إليه ثم يرفع يده عنه فهو يفعل وإن كان فعله بأمر الأمر لكن
حال الفعل ليس للأمر تسلط عليه، أي ليس حين الفعل بيده وإنما هو
معزول عنه كما في مثال الوكيل والموكل، وذلك في البطلان بمكان لأنه
يستلزم اعتزال الحق سبحانه عن ملكه واستغناء الممكن حين الفعل عن
خالقه وإن كانت آلات الفعل كلها به لأن الوكيل حين الفعل ليس في يد
الموكل وإنما هو مستقل وإن كان بأمره وحكمه، ومثل العبد حين يقول له
سيده افعل الأمر الفلاني فإنه حين فعله له خارج عن يد السيد وإحاطة
قدرته كما هو المعلوم، وإذا صح استغناء الممكن عن الله سبحانه في حالة
صح في كل الأحوال.

(١) بحار الأنوار ج ٥٤ ص ٥٢.

الأمير بين الأمرين

وأما سر الأمر بين الأمرين فهو وإن كان من أصعب ما يرد على العلماء إلا أن الإشارة إليه في قوله تعالى في الحديث القدسي وذلك: (إني أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني)^(١) انتهى، وذلك أن الطاعة نور مقصود لذاته فيتعلق به الجعل الإلهي بالذات، والمعصية ظلمة مقصودة بالعرض فيتعلق به الجعل بالعرض لقوام الطاعة وتحقيقها فالطاعة من العبد بالذات قائمة بمشية الله لها بالذات، والمعصية من العبد بالذات قائمة بمشية الله لها بالعرض، يعني أن الله سبحانه حافظ لفعل العبد في كلتا الحالتين أي في حالة الطاعة وحالة المعصية فلورفع حفظه عنه انعدم وفنى لا يقدر على الطاعة ولا على المعصية فيبطل اختياره فالله سبحانه يحفظ فعله إذا أطاع ويوافق ذلك الفعل محبة الله سبحانه.

ولما كانت الطاعة هي النور والخير فكانت منسوبة إلى الله سبحانه لأنه المقصود بذاته في الإيجاد ولكنه لا يظهر إلا بالعبد فالطاعة والنور من الله وإليه لكنهما بالعبد، وكذلك يحفظ فعله حين المعصية لكن بالتخلية والخذلان ليبقى الاختيار فهي راجعة إلى العبد ومنه وإليه لكنها بالله سبحانه فكان الله سبحانه أولى بالطاعة والعبد أولى بالمعصية وإن كان لكل منهما مدخلية ومثال ذلك الشمس لما أشرقت على الجدار ظهر النور ووجد خلفه الظل فلولا الشمس لم يكن النور ولا الظل فهما موجودان

(١) الكافي ج ١ ص ١٥٢ - بحار الأنوار ج ٥ ص ٤ - تفسير العياشي ج ١ ص ٢٥٨ - تفسير القمي ج ٢ ص ٢١٠ - التوحيد ٣٣٨ - عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٤٣ - فقه الرضا ٣٤٩ - قرب الإسناد ١٥١ - كشف الغمة ج ٢ ص ٢٨٩.

بها ومتحققان بفاضل ظهورها لكن النور من الشمس وهو المقصود لذاته في إحداث الشمس إياه ولو لم يكن الجدار لم يظهر ذلك النور أبدا فكان الجدار له مدخلية في الاستضاءة ويرجع المدح إليه حيث أنه قبل عطية الشمس على ما ينبغي ولكن الشمس حين ما أعطته النور لم ترفع يدها عنه فالنور في الجدار أيضا متقوم بالشمس حال كونه فيه ولكن قابلية الظهور من الجدار حسب ما أعطته الشمس، وأما الظل فهو وإن كان متقوما بالشمس ومحفوظا بها لكنه لا ينسب إلا إلى الجدار ولا يرجع إلا إليه والشمس إنما حفظته بحكم التخلية والخذلان حسب ما سأل الجدار بلسان فقره إياها لتحدث له ذلك، فالجدار أولى بالظل من الشمس فتقول الشمس للجدار أنا أولى بالنور منك وأنت أولى بالظل مني، والمراد بالجدار نفس قابلية النور المتشعشع من الشمس الظاهرة في هذا الجسم الكثيف فافهم إن كنت تفهم.

والذي ذكرنا إشارة يسيرة وشرح حقيقة الحال ما يمكن في هذه العجالة مع أن هذه المسألة من أسرار القدر الذي أمرنا بالكف عنه ولويسر الله لنا مشافهتكم لألقينا إليكم من هذه الجواهر المكنونة المخزونة أعلاها وأثمنها إلا أن فيما ذكرت بالإشارة كفاية لمن طلب الهداية وجانب العناد واللجاج والله الموفق للصواب .

أول الوجود

قال سلمه الله تعالى: المسألة العاشرة ما أول الوجود ومراتبه ومحله أقول قال مولانا الرضا (عليه السلام): ما معناه أن الله أول ما خلق الاختراع والابتداع ثم خلق الحروف فجعلها فعلا منه يقول للشيء كن فيكون.

اعلم أن كلما سوى الله سبحانه مخلوق به وصادر عنه وليس شيء سواه لم يكن مخلوقا بالضرورة، فإذا كان كذلك فالله سبحانه يقول له الخلق والأمر وهو جامع لكل الموجودات سواه تعالى، والأمر هو عالم الاختراع لأن هو الخلق لا عن مادة وصورة فلو سبقه خلق لكان السابق مادة له إما بذاته أو بنوره فلم يصح الاختراع حينئذ والأمر هو الإرادة والمشية لقول مولانا الرضا عليه السلام (إرادته إحداثه لا غير لأنه لا يروي ولا يهيم ولا يفكر وإنما يقول للشيء كن فيكون بلا لفظ ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له)^(١) رواه في الكافي وقال سبحانه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢) فجعل الأمر هو قول كن وبه قامت السموات والأرضون كما قال عز وجل ﴿وَمِنْ عَائِنِهِ﴾

(١) في الكافي ج ١ ص ١٠٩ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِرَادَةِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ الْخَلْقِ قَالَ فَقَالَ الْإِرَادَةُ مِنَ الْخَلْقِ الضَّمِيرُ وَمَا يَتَّبِعُوهُمُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْفِعْلِ وَأَمَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِرَادَتُهُ إِحْدَاثُهُ لَا غَيْرُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَرُوي وَلَا يَهيم وَلَا يَتَفَكَّرُ وَهَذِهِ الصِّفَاتُ مَنْقِيَةٌ عَنْهُ وَهِيَ صِفَاتُ الْخَلْقِ فَإِرَادَةُ اللَّهِ الْفِعْلُ لَا غَيْرُ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ بِلا لَفْظٍ وَلَا نَطْقٍ بِلِسَانٍ وَلَا هِمَّةٍ وَلَا تَفَكُّرٍ وَلَا كَيْفٍ لِذَلِكَ كَمَا أَنَّهُ لَا كَيْفَ لَهُ

أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ  ^(١) على أحد المعاني وقال مولانا الصادق عليه السلام: (كل شيء سواك قام بأمرك) ^(٢) فليس فوق أمره تعالى شيء إذ كان كل ما سواه قائم به وإلا لما صحت الكلية، والمشية والإرادة هما الاختراع والابتداع كما قال مولانا الرضا عليه السلام: (المشيئة والإرادة والإبداع معناها واحدة وأسمائها ثلاثة) ^(٣) فصح أن أول الصادر منه تعالى وأول الحوادث المشية فلما كانت أقرب الأشياء إلى المبدأ حتى كانت واسطة في إيجاد الكائنات وهويات الموجودات وجب أن تكون أشرف الذوات وأقواها وأعلاها وأعظمها لأن الذوات إنما تذوت والأشياء إنما تأصلت بها، فنسبة الأشياء إليها نسبة القيام والقيود إليك فلا يتوهم من متوهم أنها أمر اعتباري أو نسبة إضافية، ضرورة أن كلما قرب إلى المبدأ أقوى وأعظم وأنور مما بعد عنه فإذا كانت هي أول الأشياء كانت أقرب فكانت أنور وأعظم تحققاً وتأصلاً ووجوداً، وإنما هي ذات إلهية وحقيقة صمدانية خلقها بنفسها وأقامها بنفسها وأمسكها بظلها ولها أسماء حسب جهات ظهوراتها وأطوارها في شئونها وإلا فهي من حيث هي أعلى من الاسم والرسم والصفة وقد استعمل أئمتنا عليهم السلام لها أسماء بحسب تلك الإضافات ولا بأس بالإشارة إلى بعضها ووجه التسمية بالوجه الأخير.

(١) الروم ٢٥

(٢) بحار الأنوار ج ٨٧ ص ١٤٨ - البلد الأمين ٩٧ - مصباح المتعجد ٤٣١

(٣) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٣١٤

فنقول إن تلك الذات المقدسة من حيث أنها جهة الله سبحانه وذكره ومذكوريته في الإمكان سميت ظهوراً وتجلياً أولياً، ومن حيث أنها ظهوره سبحانه لغيره وموصل فيضه إلى ما يريد من خلقه سميت فعلاً وحركة إيجادية، ومن حيث أنها ظهوره لها بها ولغيرها سميت فاعلاً، ومن حيث أنها أول الذكر والمذكور وبها نشأت الأشياء وتأصلت سميت مشية، ومن حيث أنها مبدأ الصور والأعيان سميت إرادة، ومن حيث أنها تكونت لا من شيء سميت اختراعاً، ولا لشيء ولا على احتذاء مثال سميت ابتداعاً، ومن حيث أنها أول مظاهر الحق سبحانه وظهوراته في الإمكان سميت التعيين الأول، ومن حيث أنها الأصل المتشعب عنه الحدود والجهات والحشيات سميت شجرة مباركة زيتونة، ومن حيث أنها مبدأ الإيجاد وعلته وأول الميل سميت محبة، ومن حيث أنه بها الإحسان والامتنان أو من أثرها الماء الذي به كل شيء حي سميت رحمة، ومن حيث أنها تدبير الحق للخلق في الخلق والآخذة بزمام كل شيء وبناصية كل دابة سميت ولاية مطلقة، ومن حيث أنها لا غاية لأولها ولا نهاية لأمدها وهي منقطعة ومضمحلة لها أول وآخر عند بارئها سميت أزلاً ثانياً، ومن حيث أنها أول ظهور الحق سبحانه سميت صباحاً وهو صبح الأزل، ومن حيث أنها أول الأصول وأصلها وغايتها سميت آدم الأول، ومن حيث أنها لا تتوقف في تكوينها وانصدارها على شرط وسبب سوى ذاتها سميت الوجود المطلق، ومن حيث أن كل الظهورات والتجليات الإلهية إنما هي بفاضل تجليه لها سميت الاسم الأعظم، ومن حيث أنها متممة لحقايق الإمكان

والأكوان ومتممة لنفسها بنفسها بالله سبحانه سميت الكاف المستديرة على نفسها، ومن حيث أنها علة العلل ومبدأ المبادي سميت السر المقنع بالسر والمجلل به، ومن حيث أن الماء الواقع على أرض الجرز إنما نشأ منها وصدر عنها وتأصل بها سميت سحابا، ومن حيث أنها اللفظ الصادر عن فعله بنفسها سميت كلمة، ومن حيث أنها حكم الله على الموجودات سميت أمرا، ومن حيث أنها المادة الظاهرة بمحلها وصورتها الظهورية سميت الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، ومن حيث أنها المستديرة على نفسها وقطب لما سواها سميت فلك الولاية المطلقة، ومن حيث أنها الذكر الأول للأشياء سميت علما، ومن حيث أنها بها استولى الله سبحانه على الأشياء كلها واستطال عليها سميت قدرة، ومن حيث أنها بها ظهور مواد الخلق وتأييداتهم من عند الله سبحانه سميت عرشا، وغيرها من الأسماء والصفات التي يطالع عليها الفطن الماهر في استعمالات حفظة الشريعة عليهم السلام.

وبالجملة فهذه الحقيقة المقدسة بهذه الأسماء المباركة وغيرها من أمثالها هو أول الوجود على جهة الإطلاق في عالم الخلق والحدوث لأن العالم يقوم بفعل ومفعول، والمقصود من الفاعل هو الله سبحانه والفعل هو هذه الحقيقة المشار إليها والمفعول حقائق الموجودات وذوات الكائنات من العقل الأول الكلي إلى آخر المراتب السفلية من مراتب الوجود، ولما كان الفعل لا يظهر بل لا يوجد إلا بالمتعلق والمحل وهو المعبر عنه بالانفعال والانوجداد وكان ذلك المحل والمتعلق هو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه

وآله فيكون بها تمام الفعل والمشية، كانت الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله أول الوجودات والموجودات والمحل يجب أن يكون من سنخ الحال وإلا ارتفعت المناسبة فامتنت المحلية فافهم.

ولهذه الحقيقة المقدسة إطلاقان في مقامين مقام الإجمال ومقام التفصيل، ففي المقام الأول يراد بها مجموع قصبة الياقوت وهم الأربعة عشر المعصومون عليهم السلام، وفي المقام الثاني يراد بها خصوص نبينا صلى الله عليه وآله ففي المقام الأول لما كانوا عليهم السلام هم الكلمة العليا وكلمة التقوى وكلمة التوحيد كانت لهم أربع مراتب.

مقام الإجمال للحقيقة المقدسة

الأولى: مقام النقطة في الكلمة وهي أصلها وبدوها نشأت الكلمة وإليها تعود وهي مقام السر المقنع بالسر ومقام الباطن وحق الحق والظهور المطلق والعلم الإطلاقي والنور الاشرافي مقام العزة والقدس والسبحان وهو مقام نبينا صلى الله عليه وآله.

الثانية: مقام الألف في الكلمة وهي بدوانتشارها وانبعائها وظهورها بالدلالة، ومقام السر المستسر بالسر ومقام الباطن من حيث هو باطن ومقام حق الحق مبدأ التفصيل ومظهر التقدير ومحل الإرادة ورتبة الحمد لله وهو مقام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، ولذا اختص هذا الاسم به دون الخلق كلهم أجمعين.

الثالثة: مقام الحروف العاليات في الكلمة وهي تمام القدر وظهور الهندسة وبروز الأحكام التفصيلية وسر الأمر بين الأمرين وسر الأمر بين الكاف والنون ومقام الظاهر ومرتبة سر السر وباطن الظاهر ومقام التكبير وظهور القول لا إله إلا الله وهو مقام سائر الأئمة عليهم السلام ما عدا علي عليه السلام.

والرابعة: مقام تمام الكلمة ومبدأ ظهور الدلالة ومقام الظاهر من حيث هو ظاهر ومبدأ القضا وينبوع علل الأشياء آخر المبادي ومقام الله أكبر وهو مقام فاطمة الصديقة الطاهرة على أبيها وبعلمها وبنيتها وعليها آلاف الثناء والتحية.

فالأولى مقام المشيئة والثانية مقام الإرادة والثالثة مقام القدر والرابعة مقام القضاء، والأولى مقام النقطة من بسم الله الرحمن الرحيم والثانية مقام الباء منها والثالثة مقام حروفها والرابعة مقام تمام الكلمة المباركة، ولهم أيضا عليهم السلام مراتب أخر بحسب إجابتهم لداعي ربهم وترتبهم في ذلك، فأول المراتب وأعلاها وأشرفها وأسناها مقام نبينا صلى الله عليه وآله لأنه أول من أجاب حين قال له (ألست بربكم) والثانية مقام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لأنه عليه السلام ثاني من أجاب فكان للنبي لواء الحمد وعلي عليهما السلام حامل اللواء، فله مقام الألف وله مقام الباء صلى الله عليهما قال النبي صلى الله عليه وآله (ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم)، والثالثة مقام مولانا وسيدنا الحسن عليه السلام فشابهه جده صلى الله عليهما في الظهور الإجمالي والرابعة مقام مولانا

وسيدنا أبي عبد الله الشهيد عليه السلام فشابه أباه في الظهور التفصيلي فأظهر الدين وكان من نسله الأئمة الميامين سلام الله عليهم أجمعين، والخامسة مقام سيدنا ومولانا حجة الله القائم بالحق عجل الله فرجه وسهل مخرجه ولذا كان هو عليه السلام الآخذ بثارته لأنه حامل ظهور الله للخلق بعده والمجيب لداعي ربه حين قال (ألست بربكم) والسادسة مقام الأئمة الثمانية الآخرين سلام الله عليهم أجمعين لأنهم في مقام واحد ورتبة واحدة على ما يستفاد من الأخبار، والسابعة مقام الصديقة الطاهرة عليها السلام لأنها آخر مراتب المبادي.

ولما كانت مقاماتهم ومراتبهم الذاتية سبعة كانت أسماءهم الشريفة سبعة فلما ثبتت صارت أربعة عشر وهو قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ (١).

مقام التفضيل للحقيقة المقدسة

ولهم عليهم السلام في المقام الثاني أي مقام التفصيل مراتب ومقامات إذ لكل منهم عليهم السلام أربع مقامات.

الأولى مقام البيان وهو مقام التوحيد وهم عليهم السلام في هذا المقام أسماء الله الحسنی وصفاته العليا والمثل الأعلى كما قالوا عليهم السلام (نحن الأسماء الحسنی التي أمركم الله أن تدعوه بها) (٢)، وفي الزيارة

(١) الحجر ٨٧

(٢) الكافي ج ١ ص ١٤٣ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا قَالَ نَحْنُ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا

(السلام على اسم الله الرضي)^(١) كما تقدم وفي الدعاء (فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر ألا إله إلا أنت)^(٢).

الثانية مقام المعاني كما قال الباقر عليه السلام : (أما المعاني فنحن معانيه ونحن علمه ونحن حكمه ونحن أمره ونحن حقه) الحديث، وكذلك سائر معاني الصفات كالعظمة والقدرة والرحمة والجلال والجمال والكبرياء وأمثالها.

الثالثة مقام الأبواب مقام الترجمة والوساطة من الله إلى الخلق في الوجودات الشرعية والشرعية الوجودية والذوات والصفات والألفاظ والمعاني وغيرها، ومن الخلق إلى الله سبحانه في استمداداتهم واستفاضاتهم وجهات افتقارهم إليه سبحانه كما قالوا (عليهم السلام) : في عدة أخبار (نحن أبواب الله وخزان علمه ومفاتيح رحمته ومقاليد مغفرته).

الرابعة مقام البشرية الظاهرية ومقام ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، ﴿يَا كُلِّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾، فإذا لوحظت هذه الأربعة في أربعة عشر تبلغ ستة وخمسين.

مقامات المعصومين في ظهور التوحيد

ولهم أيضا عليهم السلام مراتب ومقامات في ظهور التوحيد لهم ولغيرهم حين كونهم مقامات الله وآياته وعلاماته التي لا تعطيل لها في

(١) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ٢٤٥.

(٢) البلد الأمين ١٧٩

كل مكان وقد علمت أن الحوادث كلها يجمعها الفعل والمفعول والفعل قد عرفت أن له أربع مراتب كما تقدم والمفعولات كلها تدور على أمر واحد كما قال عز وجل ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(١) وقال: ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً﴾^(٢) وقال ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾^(٣) فتكون مراتب الخلق كلها خمسة، أربعة مراتب الفعل وواحد رتبة المفعول وظهور الحق سبحانه للخلق بالخلق فيكون ظهور التوحيد في كل مرتبة على حسبها كما قال عز وجل ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ﴾^(٤) فيكون ظهور التوحيد أيضا خمسة، الأول ظهور الباطن والثاني ظهور الباطن من حيث هو باطن والثالث ظهور الظاهر والرابع ظهور الظاهر من حيث هو ظاهر والخامس نفس الظهور.

ولما كانت الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله محل جميع المظاهر وحامل كل الظهورات كما قال عز وجل في الحديث القدسي: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)^(٥) كانت هذه المراتب مجتمعة في كل من الأئمة عليهم السلام فترتقي المراتب بإضافة هذه المراتب الخمسة إلى الأربعة عشر إلى السبعين ولذا وضعت لهم كلمة (كن) فافهم.

(١) النساء ١

(٢) القمر ٥٠

(٣) الملك ٣

(٤) البقرة ١٤٨

(٥) بحار الانوار ج ٥٥ ص ٣٩- عوالي اللالي ج ٤ ص ٧

ولهم أيضا عليهم السلام مراتب بحسب الظهورات الفعلية التي هم عليهم السلام محلها ومعدنها وأصلها وينبوعها يطول الكلام بذكرها وذكر أحوالها وفيما ذكرنا كفاية لأولي الدراية.

محل الذات المقدسة ورتبتها

وأما محل تلك الذات المقدسة ورتبتها بمراتبها ففي المقام الأعلى محلها الإمكان الراجح وفي المقام الأسفل الأعلى محلها الوجود الراجح من قوله تعالى ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(١) وهو يشمل المقامين ويعم المنزلتين ولذا ظهوروا عليهم السلام في كل ذرة من ذرات الإمكان والأكوان والأعيان.

وإذا سألت عن الوقت فاعلم أن وقتهم الأولي السرمد المحيط بكل الدهر والزمان وهو الأزل الثاني في قوله عليه السلام: (أنا صاحب الأزلية الأولى) وفي رواية (أنا الأزلية الثانية) وهذا الأزل بالنسبة إلى أزل الآزال فان باطل مضمحل وهو سبحانه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى.

قال سلمه الله تعالى: المسألة الحادية عشرة هل الكليات الثلاثة من المنطقي والعقلي والطبيعي موجودة في الخارج أم لا؟.

(١) النزره ٣٥

بحث في الكليات الثلاث

أقول: اعلم أن القوم اتفقوا على أن الكلي المنطقي والعقلي لا يوجدان في الخارج وإنما هما في العقل فحسب، أما الكلي المنطقي فلأنه هو المفهوم أي ما لا يمتنع فرض صدقه على كثيرين وكلما في الخارج محدود متناه، وأما العقلي فلأنه مجموع العارض والمعرض فلا يمكن وجوده في الخارج إذ لا يمكن وجود أحد أجزائه فيه ولذا قالوا أن المركب من الداخل والخارج خارج، وإنما اختلفوا في الكلي الطبيعي فقال قوم موجوده في ضمن الأفراد وقال الآخرون بعدمه وإنما الموجود أفراده وأشخاصه لا ذاته وإنما هو أمر اعتباري انتزاعي فلا وجود له ولهم على ذلك أدلة اخترعوها بل اقترحوها.

أقول: أما على القول بأن الكلي الطبيعي موجود في الخارج فلا مناص عن القول بوجود أخويه لأن الكلي الطبيعي هو الحقيقة الساذجة لا بشرط الغير الملحوظة فيها العموم والخصوص، والكلي المنطقي ملاحظة صلاحيته للعموم وللکثرة، والعقلي إثبات هذه الصلاحية له فلولم تكن هذه الصلاحية ثابتة لتلك الطبيعة كان إثباتها لها كذبا ومنه يلزم أن يكون القول بالكلي المنطقي كذبا والضرورة تقضي ببطلانه، مثلا إذا أردت أن تقول زيد (قائم) فتلاحظ زيدا أولا مع قطع النظر عن جميع خصوصيات الصفات، ثم تلاحظ (القيام) صفة ثانية، ثم تلاحظ نسبة القيام بزيد ثم تحكم على زيد بالقيام، فلولم يكن زيد صالحا للقيام قبل ملاحظتك كانت ملاحظتك إياه كذبا وباطلا وكان إخبارك بذلك أيضا كذلك،

فإذا قلت الإنسان كلي بمعنى لا يمتنع فرض صدقه على الكثيرين فقد لاحظت تلك الطبيعة أولاً مجردة عن كل القيود من العموم والخصوص والكلية والجزئية ثم لاحظت معنى صدقه على كثيرين ثم لاحظته فوجدته صالحاً لذلك في الواقع سواء لاحظته أم لا كما في القيام ثم حكمت عليه بذلك، فإن كان قولك الإنسان كلي بهذا المعنى صدقاً يجب أن لا يكون منوطاً بذهنك وبعقلك بل يكون موجوداً وموصوفاً بالكلية سواء فرضه الفارض أو اعتبره المعتبر أم لا، وإلا فيجب أن لا يكون الإنسان كلياً، أم إذا لم يتصوره متصور ولم يتعقله متعقل فحينئذ يكون القول بأن الإنسان كلي في الواقع كذباً فتكون هذه القضية من القضايا الكاذبة مثل الخمسة زوج إذ ليس لها وجود واقعي إلا ما اخترعه في الذهن فانتقش في الخارج للحكم الوضعي عند أهل الأصول فيجب أن يصدق أن الإنسان ليس بكلي في الواقع والفرق بين القضايا الذهنية والواقعية على ما قالوا هو أن النسبة الحاصلة الثابتة بين المتسبين إن كانت حاصلة ثابتة سواء فرضها الفارض واعتبرها المعتبر أم لا فالقضية واقعية، وإن لم يكن لها تحصل إلا في الذهن ارتفع الذهن بطلت القضية كانت ذهنية، ولا شك أن حقيقة الإنسان وطبيعة ذاته وكونه صالحاً للتقييد بالقيود الكثيرة لو لم تكن موجودة ثابتة وإنما هي محض اختراع الذهن كان الحكم عليه بالكلية الواقعية باطلاً فاسداً كالحكم على الخمسة بأنها زوج والبدية تحكم بفساد هذا القول.

والحق في المسألة أن الكلي الطبيعي موجود في الخارج وجودا حقيقيا ثابتا مستقلا لكن في مقام ورتبة فوق رتبة الأفراد والأشخاص وله ظهور في الأفراد كظهور الماء في الأشجار والأحجار وسائر المعادن والحيوانات والإنسان، وكذلك الكلي المنطقي والعقلي، بل هذه الكليات أشد تحققا وتأصلا من الأفراد والجزئيات، لكن لما كان جهة الانجساد والكثرة في الأفراد غالبية تأصلت عند أهل الانجساد وخفيت تلك الحقائق والكليات في أبصارهم وأعينهم لأن الأشياء كلها إنما صدرت من المبدأ الحق سبحانه وتعالى بجميع مراتبها، وقد دل الدليل العقلي والنقلي أن كل أثر يشابه صفة فعل مؤثره وفعل الله سبحانه في كمال الشمول، والانبساط والإحاطة والقيومية فوجب أن يكون أول ما يتعلق به الفعل في كمال الانبساط والإحاطة والشمول ثم ذلك الأمر الواحد العام الكلي بحسب تلاحق الصور والأعراض والحدود والمشخصات تنقيده وتنحصر إلى أن يصير شخصا واحدا لا يشمل غيره فينجمد بعدما كان ذائبا فأول ما يبرز عن المبدأ هي طبيعة ساذجة وذات بلا اعتبار وشرط وبها تحكي ظهور التوحيد الإلهي الغير المشوب بشيء من أنحاء الكثرات وحدود الإنيات، ثم بعد ذلك يذكر فيها صلوحه للتعين بالحدود المشخصة الغير المتناهية، ثم بعد ذلك تلاحظ تلك الطبيعة من حيث صلوحها للكثرات، ثم بعد ذلك تلاحظ تلك الطبيعة مع حد واحد من تلك الحدود والمشخصات فتشخص بالتشخص الخاص ولذا تجدد كلما هو أقرب إلى المبدأ كان انبساطه وشموله أكثر مما هو أبعد، انظر إلى بسائط العناصر كيف لا يمتنع

فرض صدقه على كثيرين فتصدق على كل مذروء ومبروء من العناصر وهي موجودة في الخارج بل في الأجسام والذهن مرآة وعين بها تدرك الأشياء الغيبية كالعين الحسية فلا تدرك إلا ما هو موجود في الخارج في خزائن الله تعالى كما قال عز وجل ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾^(١) كما أنك ما ترى ببصرك إلا الموجود في الخارج كذلك ما ترى بذهنك فإنه في الخارج بحسب عالمه لأن الأدوات إنما تحد أنفسها والآلات إنما تشير إلى نظايرها.

والعالم عالمان عالم الغيب والشهادة، فكما أن الله سبحانه جعل لك لإدراك عالم الشهادة آلات وأسبابا بها تنظر إليها وتدرکها كذلك جعل لعالم الغيب أسبابا وآلات فما تدركه بذهنك وهو موجود في الخزائن الغيبية كالحواس الظاهرية فلا تتوهم أنك لا تدرك شيئا وليس لها وجود في الخارج في الخزائن، إلا أن الخزائن على قسمين غيبية وشهودية والحسنى و(السوءى) فكل الكواذب في الخزائن السوءى فالأعدام والممتنعات التي تدركها كلها إمكانات ووجودات إمكانية تسميها أعداما في الكون وقد قال مولانا الصادق عليه السلام: (كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانية فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم)^(٢)، وقال الرضا عليه السلام: (لم يتصور أحد شيئا إلا وقد خلقه الله قبل ذلك حتى لا يقال لم لم يخلق ذلك) وقال الصادق (عليه السلام) عند اختلاف زرارة وهشام في النفي

(١) الحجر ٢١

(٢) بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٢٩٢.

فقال هشام النفي شيء وقال زرارة النفي ليس بشيء قال (عليه السلام) لزرارة: قل بقول هشام في هذه المسألة وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظايرها)، وأمثال ذلك من الأخبار كثيرة فاعرف مما ذكرنا وأشرنا إلى نوع الدليل أن كل شيء مما حوته دائرة الإمكان مما تعقله وتدركه وتخيله وتصوره وتتوهمه وتحسه كل ذلك موجود بوجود مغاير لوجودك وأنت إنما انتزعت إلى ذهنك كانتزاع المرأة الصورة عن المقابل وقد أقمنا على ذلك براهين قطعية من العقلية والنقلية في كثير من رسائلنا ومباحثنا وأشرنا إلى نوعها ههنا، فخذها وكن من الشاكرين وقس عليه حال الكليات الثلاثة مع أن تلك الكليات على ما ذكرنا لك هي أشد تحققاً وتأصلاً من الأشخاص والأفراد والكي مادة بحصة وظهور حقيقته للجزئي، والجزئي جزء والكي كل فافهم راشداً.

تعريف العقل وكيفية إدراكه

قال سلمه الله تعالى: المسألة الثانية عشرة ما تعريف العقل وكيف

إدراكه؟

أقول: العقل نور إلهي بدأ من الاختراع الأول جوهر مجرد عن المادة الملكوية والجسمانية والشبحية البرزخية وعن المدة المقدارية المثالية والمدة الزمانية أول نور مشرق من صبح الأزل وآدم الثالث وأول ولد تولد من آدم الثاني الذي هو الوجود المقيد أعني الماء النازل من سحب المشية الذي به كل شيء حي، ومن حوائه أرض الجرز أرض القابلية أي الماهية

الأولى وهو أول غصن أخذ من شجرة الخلد وهو القلم في قوله تعالى ﴿رَبِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١)، وهو الطور وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش وهو النور الأبيض الذي منه أبيض البياض وهو روح القدس وهو الملك المسدد للأنبياء وهو العمود من النور الذي به يرى الإمام عليه السلام أحوال الخلايق وهو النفس الرحمانى الثالثى وهو عبد من عباد الله قائم في طاعة الله صورته هيكल التوحيد وصفته الرضا والتسليم ومقامه الركوع وطبيعته البرودة واليبوسة في ظاهر ذاته وعمله، والبرودة والرطوبة في ظاهر فعله، والحرارة واليبوسة في أصل ذاته، وإدراكه المعاني الكلية المجردة عن الصور النفسية والمثالية والجسمية ودليله الموعظة الحسنة وسبيله اليقين وطريقته التقوى وعلم الطريقة وصفته الاستقامة ومكانه كل الممكن المكون الموجود بالوجود الكوني ووقته الدهر وهو الوقت الثابت المستمر الذي يجمع المختلفات ويفرق المجتمعات الزمانية، ولونه البياض في صفته والسواد في ظاهر ذاته والحمرة في باطن حقيقته، مقبل على الله عز وجل فلما خلقه الله سبحانه قال له أقبل فأقبل فأظهر الله سبحانه بإقباله الذي هو إدباره عنه حقايق الأكوان ومستجنات غيوب الأعيان، ففي كل مرتبة نازلة أظهر قشره واستتر في لبه إلى أن ظهرت القشور المتراكمة وخفي اللب المقصود بالحقيقة ثم أمره سبحانه بالإقبال فكان إقباله بحسب الأسباب الظاهرية والباطنية فظهر بظهور الأسباب عند بلوغ الولد أو ان الحلم فهناك أول

(١) القلم ١

ظهوره ومقام كمال الولد فيتكلف ليكون سببا لكمال الظهور ومستشرفا بشوارق النور والظهور فهو في أول ظهوره عقل بالملكة أي بالاستعداد والتهيؤ القريب إلى الفعل بكمال الظهور وإلا فهو فعلي فإذا قوي في العلم والعمل كان عقلا بالفعل أي تكون جميع مداركه وأحواله حاضرة لديه وهوناظر إلى جميع الأحوال السفلية ومطلع على جميع مراتب الوجودات المقيدة، وإذا قوي أيضا بالعلم والعمل كان عقلا مستفادا فيعود إلى بدئه ويحصل له الاتصال بعالم اللانهاية فيقف حينئذ على باب فواره النور فلا غاية لإدراكاته ولا نهاية لظهوراته، وهذا هو العقل الكلي في العالم الأكبر، والعقل الجزئي في كل فرد وشخص من أفراد الإنسان أو ما هو يعم الكل من أفراد الموجودات كما هو الحق وهذا عليه مدار التكليف والسعادة والشقاوة والثواب والعقاب.

ولما كان كل شيء مركبا من النور والظلمة متعادلان متعاكسان في الفعل وكان للعقل أيضا ضد وهي ماهيته لكنها ضعيفة مغلوبة لتراكم الأنوار فيه لكونه من الخلق الأول ولكن العبد إذا انهمك في المعاصي وأعرض عن الله عز وجل وخالف أوامره ونواهيه وبادره بالعصيان والطغيان يضعف ذلك النور ويخفى، وبقدره تقوى تلك الظلمة وتظهر إلى أن يذهب النور بالكلية ولم يبق له أثر وتأثير إلا بقدر ما يمسك الوجود وتستقل الظلمة وتقوى ويكون لها التأثير والأثر فينقلب ذلك النور الذي به عبد الرحمن واكتسب الجنان إلى النكراء والشيطنة، يعني يخفي ذلك وتظهر هذه، فيبقى للشخص حينئذ إدراك وتميز ويدرك الكليات ويفهم

الدقائق ويقع عليه التكليف لكنه لا يميل إلى الخير ولا يحبه ولا يقبل على الله عز وجل ولا على أوليائه وإنما هو يبغضهم ويكرههم وهذا معنى قوله عليه السلام لما سئل عن العقل قال (عليه السلام) : (ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان) قال: والذي في معاوية قال (عليه السلام) : تلك النكراء والشيطنة وليست بعقل لكنها شبيهة بالعقل^(١) انتهى، وهو ما ذكرنا لك من أن الضدين متعادلان ومتعاكسان في الأحوال كلها فضد النور الكلي ظلمة كلية فافهم.

وقد يطلق العقل على ما سوى الخارج من الحواس الباطنية سواء كانت تدرك الكليات أو الجزئيات، وهذا إذا قالوا المعقول في مقابلة المحسوس وكما قال المنطقيون في تفسير العلم أنه الصورة الحاصلة في العقل أو عند العقل ويريدون به الذهن ما سوى الخارج ليكون تفسيرهم جامعاً ومانعاً، وهذا الإطلاق يرجع حقيقة إلى ما ذكرنا لكنه على طور دقيق رشيق كتبانه أولى من بيانه لأن من الناس من يحتمل ومنهم من لا يحتمل وقد قال سيد الساجدين (عليه السلام): (لا تتكلم بما تسارع العقول إلى إنكاره وإن كان عندك اعتذاره).

المناسبة بين الألفاظ والمعاني

قال سلمه الله تعالى: المسألة الثالثة عشرة هل بين الألفاظ ومعانيها مناسبة ذاتية بها حصلت الدلالة أم لا بل لمجرد الوضع

(١) بحار الانوار ج ١ ص ١١٦ - المحاسن ج ١ ص ١٩٥ - معاني الاخبار ٢٣٩

أقول: الذي تقتضيه أدلة التوحيد بعد ثبوت القول بأن الواضع للألفاظ كلها هو الله سبحانه هو إثبات المناسبة بين الألفاظ ومعانيها ليخرج فعله تعالى عن العبث إذ القول بأن الله تعالى جعل بعض الألفاظ لبعض المعاني حرفاً واحداً كهزمة الاستفهام والباء للصلة وللقسم وللتعدي وغيرها والتاء والواو وأمثالها، وبعضها ثنائية كقد ولا وما وإن وأمثالها، وبعضها ثلاثية وهو كثيرة، وبعضها رباعية وبعضها خماسية، واختص بعض الحروف بكونها أصلية وبعضها بكونها زوايد، وغير الأوضاع الحرفية في الرسوم اللفظي وأمثالها من القرانات والأوضاع والأحوال كل ذلك عبثاً وهباء من غير داع وخصوصية لا يصدر عن عاقل والله سبحانه نص في كتابه العزيز وقال عز من قائل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١) وقال تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾^(٢) ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾^(٣) ولما نظرنا في الذوات والقرانات الوجودية الذاتية ووقوعها على هيئة مخصوصة واقتضاءاتها لخواص وآثار معينة وجدنا كلها لنسبة مقتضية لذلك القران.

انظر إلى ترتيب الفصول الأربعة وأحوالها وأوضاعها وما يترتب عليها ووجود الأثر في أماكن وفصول معينة وعدمها في غيرها، وكذلك المعادن وتوفر الثلوج والأمطار في بعض الأماكن وقلتها في بعضها وعدمها في

(١) النساء ٨٢

(٢) القمر ٥٠

(٣) الملك ٣

الآخر، هل يجوز أن تكون هذه الاختلافات كلها عبثاً وهباءً، فتبطل إذن الحكمة ويستلزم الظلم والبخل حيث أمد بعض الأشياء بالمدد والفيض ومنعهما عن الآخر، وثبوت الحكمة ووجود المناسبة المقتضية لترتب تلك الآثار والمقتضيات أمر ضروري بديهي سيما على مذهب الإمامية الإثنى عشرية الفرقة الناجية، فكيف يراعي سبحانه المناسبة في الأكوان العنصرية الوجودية ولا يراعيها في الألفاظ والأحوال الوضعية وهو سبحانه يقول (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ)، فكما أن أصول الموجودات أربعة وكل الكليات خصوصاً العالم الجسماني إنما حصلت من قرانات هذه الأربعة على نظم طبيعي محكم متقن كذلك أصول الحروف ثمانية وعشرون والأسماء والألفاظ كلها إنما هي مركبة من قرانات هذه الحروف بعضها مع بعض، والقول بأن الإرادة مخصصة غلط فإن العبد هو إرادة الشيء من غير موجب وداع إلى ذلك مع أن إرادة هذا الشيء مثلاً وعدمها في نفسها ممكن وهو لا يوجد إلا بمرجح خارجي إذ لو كان ذلك نفسه لزم التسلسل فثبت أن ترجيح إحدى الجهتين يحتاج إلى مرجح آخر غير الإرادة، فوجب القول بأن الله سبحانه خلق ثمانية وعشرين حرفاً هي مواد الألفاظ والأسماء فإذا أراد وضع لفظ لمعنى خاص أخذ حروفاً تناسب ذلك المعنى وألفها بهيئة مناسبة سواء كانت المناسبة نوعية أو شخصية فإن المعنى روح اللفظ كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (المعنى في اللفظ كالروح في الجسد) ولا شك أن بين الروح والجسد مناسبة خاصة يقتضي تعلق تلك الروح بذلك الجسد فإذا أراد الله أن يخلق روحاً ويظهرها في الوجود خلق لها

جسدا يناسبها حتى إذا تم ولجته الروح كما هو المعلوم، فالواضع إنما وضع هذه الألفاظ وخصصها للمعاني الخاصة لما بينهما من المناسبة في الصفات والذوات، وجهات المناسبة مختلفة والأشياء لها جهات متضادة فمن هذه الجهة لا يمكننا إدراك جميع المناسبات في الألفاظ كلها ويصح أن يوضع لفظ واحد لمعنيين متضادين لأن كل شيء له ضد ولا يتركب إلا من ضده فيناسب كل ضد بالجهة الخاصة به، كما أن الإنسان يناسب النار لذاته ويناسب الماء كذلك ويناسب الهواء ويناسب الأرض وكلها متضادة، ويصح أيضا النقل واختلاف اللغات لما ذكرنا ولما كانت المناسبة تختلف بالشدة والضعف جاز الحقيقة والمجاز ولما كانت المناسبة أعم من أن تكون شخصية ونوعية جاز وضع الأعلام الشخصية، والناس لما لم يعثروا على هذه الحقائق أنكروا المناسبة وإذا لم يهتدوا بهذا فسيقولون هذا إفك قديم وأنت إذا تتبعت الأخبار وأمعنت النظر فيها وجدت هذه المناسبة من الأمور المعلومة عندهم عليهم السلام ألا ترى كيف أفهم الإمام عليه السلام ذلك الزنديق لما سأله عن اسمه قال: اسمي عبد الملك فسئله عن كنيته قال: أبو عبد الله قال (عليه السلام): (من هذا الملك الذي أنت عبد له أمن ملوك الأرض أم من ملوك السماء وأخبرني عن ابنك هل هو عبد إله الأرض أم إله السماء فانقطع الرجل ولم يجبر جوابا) ^(١) فلولم يكن بين الألفاظ والمعاني مناسبة لجاز للرجل أن يقول كون اسمي عبد الملك لا يدل على أن يكون لي مولى أرجع إليه لأنه اسم وضعه لي أبي

(١) الكافي ج ١ ص ٧٢ - بحار الأنوار ج ٣ ص ٥١

ليدل علي ولا نسبة بين اللفظ والمعنى، أو تجوز أن الإمام عليه السلام أراد إفحامه وإن كان على الباطل حاشاهم عن ذلك وقال (عليه السلام) : (في العبد أنه ثلاثة أحرف العين علمه بالله والباء بونه عن الخلق والدال دنوه من الخالق من غير كيف)^(١) وقال عليه السلام (في الله الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا واللام إلزام خلقه ولايتنا والهاء هو ان لمن خالف ولايتنا) وقال (عليه السلام) : (في بسم الله أن الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم ملك الله وفي رواية مجد الله)^(٢) وقال في (قل هو الله أن الهاء إشارة إلى تثبيت الثابت والواو إشارة إلى الغائب عن درك الحواس ولمس الناس)^(٣) وأمثالها من الأخبار كثيرة يقف عليها الفطن الماهر وقد أفردت رسالة منفردة في هذا الباب وذكرت فيها جميع الإيرادات الواردة التي أوردوها وحققت المسألة فيها كما ينبغي فمن أراد الاطلاع على حقيقة الأمر فعليه بمطالعة تلك الرسالة فإن ما فيها غنية للطالب الصادق.

قال سلمه الله تعالى: المسألة الرابعة عشرة ما الوجه في تركيب الأشياء من الضدين وكيف لا يمكن تركيبها من المتوالفين أو المتخالفين الذين لم يبلغا حد التضاد؟

(١) في مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق ص ٨ : قال النبي (صلى الله عليه وآله) : اعبد الله كأنك تراه فإن تكن تراه فإنه يراك وحروف العبد ثلاثة (ع ب د) فالعين علمه بالله والباء بونه وعن سواه والدال دنوه الله تعالى بلا كيف ولا حجاب

(٢) في التوحيد ص ٢٣٠ عن صفوان بن يحيى ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال : الباء بهاء الله ، والسين سناء الله ، والميم ملك الله ، قال : قلت : الله ؟ قال : الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا ، واللام إلزام الله خلقه ولايتنا ، قلت : فاهاء ؟ قال : هو ان لمن خالف محمدا وآل محمد صلوات الله عليهم ، قال : قلت : الرحمن ؟ قال : بجميع العالم ، قلت : الرحيم ؟ قال : بالمؤمنين خاصة .

(٣) بحار الانوار ج ٣ ص ٢٢١ - التوحيد ٨٨

علة تركيب الأشياء من الضدين

أقول : قال مولانا الرضا (عليه السلام): على ما رواه الصدوق في التوحيد والعيون ما معناه إن الله عز وجل لم يخلق فردا قائما بذاته للذي أراد من الدلالة على نفسه فخلق كل شيء من ضدين وهو قوله تعالى: (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) انتهى الحديث، ويريد (عليه السلام) أن صفات المخلوق من حيث هو مخلوق يجب أن يكون بخلاف صفة الخالق حتى لا يشبهه شيء ولا يوافقه شيء ولأن الممكن فقير محض وصفاته كلها من مقتضيات ذاته بل أقل رتبة منها فإن الصفات تحت رتبة الذوات فصفات الممكن بالفقر أولى فلا يصح توصيف الممكن بصفات الوجوب الذي هو الغناء المحض.

ولما كان الواجب سبحانه غني مطلق وكامل مطلق وبسيط مطلق ليس فيه سبحانه جهة تضاد، واختلاف وأراد أن يصف نفسه للخلق بذواتهم وكينوناتهم خلقهم سبحانه على جهة التركيب والتضاد وركبهم من أشياء متضادة ليعلموا أن صانعهم منزّه عن ذلك وهو قوله (عليه السلام) بمضادته بين الأشياء علم أن لا ضده له وبتجهيره الجواهر علم أن لا جوهر له، ولما كان صنعه متصلا وأمره واحدا خلق كل شيء على هيئة كل شيء وجعل في الجزء ما جعل في الكل وجعل في السافل ما جعل في العالي فيجب أن يكون كل شيء مركبا من ضدين ليعلم أن لا ضده وأيضا قدرة الله سبحانه تامة كاملة فوق التهام والكمال فيجب أن يجري سبحانه فعله وإيجاده على أكمل ما يمكن في القدرة ويكون بذلك دالا

على كمال قدرته البالغة ونعمته الكاملة، ولا شك أن التركيب والجمع بين الضدين بحيث يكون في عين التركيب والامتزاج متميزين في الفعل والأثر على صرافة حال البساطة شيء لا يطيقه أحد من المخلوقين وهذا دليل على كمال قدرته سبحانه فيجب أن يخلق هكذا وأن يركب الأشياء من الأضداد، وأيضا قد سبق منا أن الأثر كلما كان أشرف يدل على كمال شرف المؤثر، ولا شك أن الأثر المختار أشرف وأعظم من الأثر المضطر والله سبحانه لا يؤثر الأشرف على الأخس لسعة قدرته وعموم علمه وكمال استغنائه عن ما عداه فوجب أن يكون أثره مختارا ذا شعور وإدراك، والاختيار لا يكون إلا أن يكون في الشيء جهتان متضادتان ليقضي بجهة حكما وأمرًا وبالجهة الأخرى عدمه وضده حتى يمكن أن يكون موردا للأمر والنهي، فلو كان له جهة واحدة لا يقتضي إلا حكما واحدا فيكون مجبورا ولا يصح أن يكون اليجاد على مقتضاه كما تقدم فوجب أن يخلق الأشياء كلها من قبضة من النور وقبضة من الظلمة، فالنور يقتضي الحرارة والظلمة تقتضي البرودة فمن امتزاجها حصلت الرطوبة واليبوسة وجميع الأشياء إنما حصلت من هذين الأصلين الحقيقيين فافهم.

وأيضا كل شيء لما بدأ من المبدأ الفياض حصلت له جهتان جهة إلى ربه وجهة إلى نفسه كما في الحديث: (يا آدم روحك من روحي وطبيعتك خلاف كينونتي)^(١) فإذا تحقق لكل شيء جهتان فلا شك أنهما متميلتان في الاقتضاء والميل والأثر لأن جهة نفس الشيء ظلمة وجهة ربه نور، تلك

(١) الكافي ج ٢ ص ٩.

شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار وهذه شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها فيكون كل شيء مركبا من ضدين وهو قولهم المتفق عليه كل ممكن زوج تركيبي.

العلة في تقسيم الأشياء إلى الكثيف واللطيف والألطف

قال سلمه الله تعالى: المسألة الخامسة عشرة ما وجه تقسيم الأشياء إلى الكثيف واللطيف والألطف؟

أقول: أما الكثيف فهو الأجسام بمراتبها وأحوالها وأوضاعها أي الجواهر المقترنة بالمادة العنصرية الفلكية والوسيطه والمدة الزمانية.

وأما اللطيف فهو النفوس أي الجواهر المجردة عن المادة الجسمانية والمثالية والمدة الزمانية والبرزخية الشخصية.

وأما الألطف فهو العقول أي الجواهر المجردة عن المادة النفسانية والمثالية البرزخية والجسمانية والمدة الزمانية.

فالأول له اقتران بالمواد والثاني لا اقتران له بها إلا من جهة العقل والثالث لا اقتران له بها أصلا لا في الذات ولا في الفعل.

وقد يراد من الألطف الحقيقة المجردة عن السبحات الفعلية وإن كانت مع السبحات الذكورية أي محل اسم الرحمن وموضع سر الديان.

ووجه حصول هذه الأقسام اختلاف إجابتهم لقول بلى حين كلفهم الله سبحانه بسر كينونتهم بلسان حقائقهم (ألست بربكم) العقل فتقدم العقول فتحلى بحلية الوجود وصار أقدم وألطف وأشرف من كل المراتب

لأنه أول من وقع عليه فعل الفاعل وجعل الجاعل، ثم بعد ذلك أجابت النفس فكانت من الروحانيات لكنها أغلظ من العقل وأكثف وإن كانت هي مجردة بسيطة ثم بعد ذلك أجابت الأجسام ولبت لداعي الحق الملك العلام فصارت كثيفة لأنها آخر من لبي لذلك النداء وآخر من سمع نداء (إني أنا الله).

ثم هذه المراتب المجتمعة في كل شخص تختلف مراتبها ومقاماتها باللطافة والكثافة والشرافة والغلظة وأشرفها وأعلاها وألطفها وأرقها الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله فإن أجسامهم عليهم السلام علة لوجود ذوات الأنبياء وهم عليهم السلام أشرف وألطف من الإنسان طبقة الرعية وهم ألطف من الملائكة والجن وهم ألطف من الحيوانات أي البهائم وهم ألطف من النباتات وهي ألطف من الجمادات وإليها انتهت الكثافات وهذا الترتيب لاختلاف إجابتهم حين سألهم (ألست بربكم) ومحمد (صلى الله عليه وآله) نبيكم وعلي أمير المؤمنين وأولاده الطيبون الطاهرون وفاطمة الصديقة الطاهرة عليها وعليهم السلام أولياؤكم) فأجابت الهياكل الأربعة عشر هذا النداء أولا فتقدموا على كل البريات وصاروا محلا للمشية وموضعا للرسالة قال تعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١) وكيفية السؤال والإجابة مما نعتذر عن بيانها لصعوبة برهانها فإنها تدرك بعين الفؤاد وأنى للواقفين مقام الأجسام والنفوس بل العقول ذلك الاستعداد.

(١) الأنعام ١٢٤.

بطلان المفهوم على إطلاق الواجب سبحانه

قال سلمه الله تعالى: المسألة السادسة عشرة ما الوجه في بطلان كون

المفهوم للواجب سبحانه

أقول: المفهوم هو الذي يحصل في الذهن مما انتزع من الخارج على ما هو التحقيق عندنا أو مطلقا على ما هو عند القوم، وهم يريدون بمفهوم الواجب المعنى الكلي العام الذي يصلح لأفراد غير متناهية لكنه ما وجد من أفرادهِ إلا الفرد الواحد الذي هو الله سبحانه فيكون مفهوم الواجب كليا منحصرا في الفرد ويمتنع الأفراد الآخر للمانع وقد تقدم الكلام عليه في أول المسائل لكننا نقول هذا المفهوم كذب أو صدق فإن كان الأول فلا كلام وإن كان الثاني فيكون الله سبحانه ذا أجزاء لأن الفرد مركب من الكلي والحدود المشخصة، فإن لم تعتبر الحدود المشخصة فهو كلي على صرافته فإن قلت هذه الحدود بذاته قلت إذن بطلت الكلية باستحالة أن يكون الشيء خاصا حين كونه عاما جزئيا حين كونه كليا إلا باعتبارين فإذا تحقق الاعتباران تحققت الجهتان فجاء التركيب، ثم على ما اخترنا أن الكلي الطبيعي موجود في الخارج وكذا غيره فأين يوجد هذا المفهوم هل هو في الأزل أم في الإمكان، فإن كان في الأزل فهو مقدم على الله لأنه فرد والكلي مقدم على فردهِ بالضرورة فيكون هو الله سبحانه لكونه سابقا ولا يصح أن يسبقه شيء، وإن كان في الإمكان فلم يكن واجبا لاستحالة اجتماع الوجوب والإمكان، وإن كان ليس شيئا إلا في الأذهان فالله سبحانه قبل خلق الخلق لم يكن فردا ولم يكن الواجب حينئذ مفهوما كليا

وإنما صار كذلك حين إيجاد الخلائق فإن كان كما ذكرنا كانت له سبحانه حالتان حالة قبل الخلق كان ذاتا بسيطة ولم يكن تحت مفهوم كلي، وبعد الخلق صار كذلك هل هذا كلام العقلاء؟! فظهر لمن له عين وقلب أن هذا المفهوم أمر باطل وكذب وإفك فاسد زایل مما قال سبحانه وتخلقون إفكا وإلا فهو جل وعلا أعز وأجل من أن يكون تحت مفهوم أو يشمل كلي إذن يكون وجوده زائدا على ذاته، وفصل القول أن لهذا المفهوم إن كان تأصل في غير الأذهان وله تحقق وثبات فلا (يخلو إما) أن يكون واجبا أو ممكنا، فإن كان واجبا فلا يخلو إما أن يكون هو عين ذات الله سبحانه من غير مغايرة أو غيرها فإن كان الأول فبطلت الكلية والفردية وإنما هما شيء واحد بكل اعتبار، وعلى القول بأن أسماء الله توقيفية كما هو الحق يمنع إطلاق المفهوم عليه تعالى لعدم وروده من الشارع، وإن كان الثاني فلا شك أن المفهوم لكونه كليا صادقا على كثيرين مقدم على الفرد بالذات فقد تقدم حينئذ شيء على الله سبحانه ذاتا وقد أجمع المسلمون على بطلانه مع ما يلزم من تعدد القدماء واختلاف الحالتين وأمثال ذلك، وإن كان المفهوم ممكنا فلا يشمل الواجب فلا يكون الله سبحانه أحد أفرادهِ وإن لم يكن له تأصل وتحقق إلا في الأذهان فلا ذكر له قبل الأذهان وبعدها فلا يوصف الحق سبحانه في القبل والبعد بأنه فرد للمفهوم ولا يوصف الواجب بأنه مفهوم كلي، فعند الأذهان وتحققه فيها فهل يؤثر في ذات الله سبحانه شيئا أي يورث له حكما وصفة لم يكن قبل ذلك أم لا، فإن كان الأول فاختلفت حالاته، وكان للأثر الممكن تأثير في المؤثر الواجب سبحانه وتعالى عما

يقولون علوا كبيرا، وإن كان الثاني فيكون كذبا وإفكا كما قال عز وجل: ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ﴾^(١) ثم الخطب الأعظم جعلهم المفهوم أمرا مقسما للواجب والمتنع والممكن وجعل الثلاثة أقساما لحقيقة واحدة مع اتفاقهم على أن المقسم يجب أن يكون معتبرا في الأقسام، فإن كان المفهوم شيئا فكيف يكون أحد أقسامه اللاشيء البحت الذي عدمه ضروري و(سيئته) محال وإن كان ليس بشيء فكيف يكون أحد أقسامه الشيء البحت الثابت الذي لا شيء لغيره بالنسبة إليه، واتفقوا أن الواسطة بين الشيء واللاشيء والقديم والحادث ممتنعة لاستلزام كون الشيء الواحد مخلوقا حين كونه غير مخلوق، وغير مخلوق، حين كونه مخلوقا، وهذا لا يعقل لأن التعقل إنما هو بإحداث الصورة في القوة العاقلة ولا يمكن أن تحدث النفس في الخيال صورة حين عدم تلك الصورة أو حين إحداث صورة عدمها أو حين عدمها ولذا قال مولانا الصادق عليه السلام (إذ ليس بين النفي والإثبات منزلة).

وقد اتفقوا أيضا على أن كل قسم قسيم للقسم الآخر، والقسيم هو الضد فيكون على هذا الله تعالى ضد وأن يكون الممكن ضدا للواجب، واتفقوا أيضا أن ضد الشيء من حيث هو لم يصدر من ضده فلم يكن الله خالقا للممكن حينئذ، واتفقوا أيضا على أن المقسم غير الأقسام فيجب أن يكون المفهوم على هذا لا واجبا ولا ممتنعا ولا ممكنا، واتفقوا على بطلان القسم الرابع، انظر إلى هذه التناقضات وكيف يخالفون ما هم متفقون

(١) العنكبوت ١٧

عليه، فإن قيل أن هذا التقسيم في الذهن وليس في الخارج قلنا هل هو كذب أو صدق فإن كان كذبا فهو المطلوب وإن كان صدقا فهل يطابق الواقع أم لا فإن كان يطابق فجاء ما قلنا وإن لم يطابق فهو المراد.

والأصل في هذه المغالطات كلها عدوهم عن القرية الظاهرة للسر
إلى القرى المباركة ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾.

ولو قلدوا الموصى إليه أمورهم لزمتم بمأمون عن العثرات
وقد أجرينا الكلام في هذا المقام على مقتضى دليل المجادلة بالتي هي
أحسن.

وأما دليل الحكمة فالناظر إليه في هذا المقام يشاهد سرا غريبا وأمرًا
عجيبا لكننا تركنا ذكره لعدم الإقبال وتطويل المقال وعدم الاعتدال في
طبايع الرجال وعلى الله التوكل في المبدأ والمآل

من عرفه نفسه فقد عرف ربه

قال أيده الله تعالى: ووفقه لمراضيه: المسألة السابعة عشرة ما معنى قول
أمير المؤمنين عليه السلام (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ^(١).

أقول: لما دلت الأدلة العقلية والنقلية على أن الإدراك لا يمكن إلا
أن يكون المدرك محيطا على المدرك بفتح الراء أو عينه امتنع إدراك الأزل
الواجب الحق سبحانه وتعالى فانسد باب معرفته ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾

(١) بحار الانوار ج ٢ ص ٣٢ - عوالي اللآلي ج ٤ ص ١٠٢ - غرر الحكم ٢٣٢

عِلْمًا ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾
وقد دلت الأدلة العقلية والنقلية أيضا على أنه سبحانه وتعالى إنما خلقنا
لنعرفه ونعبده كما في الحديث القدسي (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف
فخلقت الخلق لكي أعرف)^(١) وقال تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا
ليعبدون»^(٢) ولما استحالت معرفة الأزل بذاته لم يبق إلا معرفته بوصفه ولما
كان الأزل صمدا لم يدخل فيه شيء ولم يخرج منه شيء ليس لأحد سبيل
إلى توصيفه وتعريفه سواه وجب أن يصف نفسه لخلقه ويعرفهم إياها
ليعرفوه بها وصف نفسه لهم ويعبدوه كذلك، ولما كان فعل الله سبحانه
يجب أن يحمل على أكمل ما ينبغي في الوجود وجب أن يكون وصفه نفسه
لخلقه أجلى ما يمكن من التوصيف والتعريف لئلا يكون لأحد حجة
ويكون إكمال نعمة للمؤمنين وإتمام حجة للكافرين المعاندين.

ولما كان الوصف قسمين حالي ومقالي وكان الحالي أجلى من المقالي
وجب أن يصف سبحانه نفسه لهم بالوصف الحالي يعني يخلق لهم أمثاله
وآياته وصفاته ليعرفوه بها، ولما كان الوصف كلما هو أقرب إلى من وصف
له كان أبلغ وأكمل وأقطع للحجة وليس شيء أقرب إلى الشيء من نفسه
إليه، جعل سبحانه وله الحمد والمنة ذوات الخلائق وأنفسهم أمثالا وصفاتا
لمعرفته في كل المقامات في توحيده وفي أسمائه وصفاته وفي آثاره وأفعاله
وفي عبادته فأبان عن هذه الحقيقة بقوله الحق ﴿سَرِّبْهُمْ ءَايَاتِنَا فِي

(١) بحار الانوار ج ٨٤ ص ١٩٨ - شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ١٦٣

(٢) الذاريات ٥٦

الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْحَقَّ أَوْلَمَ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢﴾ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴿٣﴾ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤﴾ فهو سبحانه عرف نفسه لك بك فلولاه ما عرفته فهو تعالى بنفسه عرف نفسه لنفسك بنفسك وإلى العبارة الأولى أشار عليه السلام في الدعاء (يا من دل على ذاته بذاته) ^(٥) وفي دعاء السحر (بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت) ^(٦) فكان الدعاء الثاني بيانا وشرحا للدعاء الأول بأن المراد أنه هو الذي دل على نفسه بنفسه بما وصف للخلق من أمثال توحيده وآيات تفريده في أنفس الخلق ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ^(٧).

أي من عرف نفسه بما جعل الله سبحانه فيها من أدلة توحيده وأسرار أسمائه وصفاته وكيفية عبادته وظهور آثاره فقد عرف ربه بما يمكن له أن يعرف لا أنه يعرفه على ما هو عليه في ذاته حاشاه عن ذلك وإنما هي المعرفة الكاملة الممكنة في حقه مما يجد من الصفات الإلهية التي فطرت طويته وجبلته عليها فحقائق الخلائق هي هيكل التوحيد ولذا قال النبي

(١) فصلت ٥٣

(٢) الذاريات ٢١

(٣) إبراهيم ٢٥

(٤) العنكبوت ٤٣

(٥) بحار الانوار ج ٨٤ ص ٣٣٩ - ج ٩١ ص ٢٤٢

(٦) الاقبال ٦٧ - البلد الامين ٢٠٥ - مصباح الكفعمي ٥٨٨

(٧) بحار الانوار ج ٢ ص ٣٢ - عوالي اللالي ج ٤ ص ١٠٢ - غرر الحكم ٢٣٢

صلى الله عليه وآله (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه) (١).

ولما كانت مراتب الخلائق متفاوتة في العلو والسفل والتجرد والمادية والعلية والمعلولية والأثرية والمؤثرية والقرب والبعد كان وصف الحق سبحانه نفسه للخلق أيضا على حسب مراتب الموجودات، ولذا قيل أن الطرق إلى الله بعدد أنفس الخلايق فوصف سبحانه نفسه للقوي بما هو عليه، وللضعيف بما هو عليه ولا يعرف أحد إلا ما انتقش في لوح حقيقته من صفة توحيد ربه ومعرفة معبوده حتى قالت النملة أن لله زبانيتين، وقال النبي صلى الله عليه وآله (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت) (٢) الحديث، ولا عرف علي عليه السلام من معرفة الله سبحانه ما عرفه النبي صلى الله عليه وآله والنبي صلى الله عليه وآله يقول (ما عرفناك حق معرفتك) (٣)، فالإدراك الذاتي الأزلي مما () الغنى المطلق عن كل مبروء ومذروء والإدراك الوصفى تختلف مراتب الخلق فيه في القوة والضعف حتى كان إدراك الضعيف في التوحيد شركا بالنسبة إلى إدراك القوي إلا أنه توحيد بالنسبة إليه لأنه الذي أعطاه الله سبحانه حسب مسئلته ولا يكلف الله نفسا إلا ما (آتاها) (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) فعلى هذا تفهم معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام (إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظايرها انتهى المخلوق إلى مثله والجاه الطلب إلى شكله) رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك وهجم

(١) جامع الاخبار ٤- روضة الواعظين ج ١ ص ٢٠- متشابه القرآن ج ١ ص ٤٤

(٢) تاويل الايات ١٤٥- ٢٢٧

(٣) بحار الانوار ج ٦٦ ص ٢٩١- ج ٦٨ ص ٢٣- عوالي اللالي ج ٤ ص ١٣٢

له الفحص على العجز والبلاغ على الفقد والجهد على اليأس الطريق
مسدود والطلب مردود دليله آياته ووجوده إثباته، نقلت معنى الحديث
بتقديم وتأخير في اللفظ، وقول مولانا الصادق عليه السلام (كلما ميزتموه
بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم)^(١) فاتضح الأمر
لمن طلب الرشد والحق.

واعلم أنك لا تتوجه إلا إلى الحق القديم الأزلي ولا تعبد إلا الله الحي
القيوم، لكنه بقي الكلام في كيفية معرفة النفس التي هي معرفة الرب
فقال كل طائفة حسب ما وجدوا مقدار ما وصلوا لأنهم لما نزلوا في
القوس النزولي ففي الصعودي اختلفت مراتبهم، فكل من وقف مقاماً
حسب أنه وصل وصعد إلى المنزل الأصلي والموطن الواقعي لكنه ليس
كذلك ونعم ما قال:

خليلي قطاع الفيافي إلى الحمى كثير وأما الواصلون قليل
لأن لهم علامات وحالات بها يعرفون أنهم ممن أشهدهم الله خلق
أنفسهم وخلق السموات والأرض، فمنهم من قال في كيفية المعرفة أنه
يعرف نفسه أي روحه بأنه ليس في الجسد وداخلاً دخول الممازجة ولا
خارجاً عنه خروج المفارقة وليس في مكان خاص في الجسد ولا يخلو منه
مكان فيه وهو المقوم للجسد والمحصل الممد له، فإذا عرف هذا في نفسه
عرف ربه بالنسبة إلى العالم الكلي، هذا معرفة أولي العلم أصحاب عالم
النفوس مقام الرسوم والنقوش.

(١) بحار الانوار ج ٦٦ ص ٢٩٢

ومنهم من قال يعرف نفسه بالعجز فيعرف ربه بالقدرة ويعرف نفسه بالذل ويعرف ربه بالعز، ويعرف نفسه بالفناء فيعرف ربه بالبقاء، ويعرف نفسه بالجهل فيعرف ربه بالعلم، وأمثال ذلك من الأمور والأحوال وهذا معرفة أولي الأبواب أصحاب عالم العقول.

ومنهم من قال يعرف نفسه المنسوب إليها كل الأحوال وهي غيرها فيعرف ربه بذلك كما أنه يقول جسدي وجسمي وخيالي ونفسي وروحي وعقلي وذاتي وكل جزئي وأحوالي وأعراضي وهومنزّه ومبرء عن ذلك كله لضرورة المغايرة بين المنسوب والمنسوب إليه كما هي شرط الإضافة، كذلك الله عز وجل يقول عبدي وملكي وسمائي وأرضي واسمي وصفتي وهويتي وماهيتي وهوسبحانه منزّه عن الكل والكل منسوب إليه، وهذا على أعلى المعاني معرفة أولي الأئمة أصحاب الحقائق، وأهل المشاهدة وأصحاب الأذواق يقولون أن كيفية معرفة النفس كما سأل كميل عن أمير المؤمنين عليه السلام وقال يا أمير المؤمنين ما الحقيقة قال عليه السلام مالك والحقيقة قال أولست بصاحب سرّك قال عليه السلام بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح مني قال أو مثلك يخيب سائلا قال عليه السلام الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة قال زدني بيانا قال عليه السلام محو الموهوم وصحو المعلوم قال زدني بيانا قال عليه السلام هتك الستر لغلبة السر قال زدني بيانا قال عليه السلام جذب الاحدية بصفة التوحيد قال زدني بيانا قال عليه السلام نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره قال زدني بيانا قال عليه السلام أطفئ السراج فقد

طلع الصبح^(١) انتهى، والمراد بالحقيقة المسئول عنها هو النفس التي معرفتها هي عين معرفة الرب، فبين عليه السلام أنها بالمحو والصحو ولو أردنا شرح هذه الكلمات لطال بنا المقال وأنا النوام المكسال ومرادي الإشارة إلى حقيقة المراد وقد كتب مولانا وأستاذنا أطال الله بقاءه وجعلني في كل محذور فداه شرحا مبسوطا كافيا وافيا لهذا الحديث الشريف فمن أراد أن يطلع حقيقة الإطلاع فعليه بمطالعة تلك الرسالة الشريفة

كيفية ظهور المعجز عن المعصوم عليه السلام

قال وفقه الله تعالى: المسألة الثامنة عشرة كيف كان ظهور المعجزات وخوارق العادات عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وما معنى كونه عليه السلام آية للنبي صلى الله عليه وآله.

أقول الجزء الأول من السؤال له وجهان أحدهما السؤال عن كيفية ظهور أصل المعجز عنه عليه السلام وعن غيره، والثاني عن وجه شيوع ظهور المعجزات عن أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره من النبي والأئمة عليهم السلام حتى أن الناس قالوا فيه بالألوهية لعظم ما يجدون منه من الكرامات وخوارق العادات، وبيان الخطب البليغة ووصف نفسه الشريفة بأنه خالق الأرضين والسموات بإذن الله سبحانه مع أن سائر الأئمة عليهم السلام مشتركين معه في تلك المزايا والخواص وكان يثبت لهم ما كان يثبت له بإذن ما الوجه في ظهورها فيه وعدمه في غيره صلى الله عليه وآله.

(١) نور البراهين - ج ١ - ص ٢٢١.

الجواب أما عن الأول فاعلم أن الأشياء على ثلاثة أقسام.
منها ما لطيفته أنقص من ذاته يعني لا يقدر على إظهار ما استجن في
إمكان ذاته من الأنوار فضلا عن غيره إلا بمعونة الخارج ومثاله في الظاهر
الصخر وما أشبهها ليست هي نورانية ولا تنور غيرها .
ومنها ما لطيفته يساوي ذاته مثاله الجمرة فإنها تضيء نفسها ولا يتعدى
ضوءها إلى غيرها فيضيء ذلك الغير .

ومنها ما لطيفته زائدة على ذاته يعني يضيء ذاته ويضيء غيره، وذلك
كالأجسام المضيئة مثل الشمس والسراج وأمثالهما والإمام عليه السلام لما
كان منغمسا في بحر الاحدية وسابحا في لجة الواحدية ومصباحا موقدا
من نار الشجرة الزيتون التي ليست شرقية ولا غربية كان له عليه السلام
نور زايد يستضيء به العالم فإذا أراد إظهار معجزة وخوارق عادة أتم
بفاضل نوره ما كان في ذلك الشيء من النقصان، حتى ظهر بكمال مرتبته
عند اعتدال فطرته كما أمر الشجرة بالكلام^(١) وأمرها بالحركة والسكون

(١) في كتاب الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي ص ٥٦ : عن أبي بكر القصار ، عن سيف بن عميرة ،
عن بكر بن محمد ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال : لما دعا النبي قريشا الى الله وخلع
الانداد ، اشتد ذلك على قريش ، وغمهم غما شديدا ، وتداخلهم أمر عظيم ، وقالوا : إن ابن أبي كبشة
ليدعي أمرا عظيما ، ويزعم أنه نبي ورسول فاتاه منهم أبو جهل لعنه الله - عمرو بن هشام بن المغيرة - وأبو
سفيان ، وسفيان بن حوشبة ، وعتبة بن ربيعة ، وهشام ، والوليد بن عتبة ، وصناديد قريش المنظور إليهم
، وقالوا : يا محمد تزعم أنك نبي ورسول ، وقد ادعيت أمرا عظيما لم يدعه أبأؤك ، ولا أحد من أهل بيتك
، ونحن نسالك أمرا ان جئتنا به وأرئتنا إياه علمنا أنك نبي ورسول ، وان أنت لم تفعل ذلك علمنا أنك
تدعي الباطل وتقول السحر والكهانة . فقال لهم : ما حاجتكم ؟ فقالوا : نريد أن تدعو لنا هذه الشجرة
تنقلع بعروقها وتقف بين يديك ، فقال لهم : إن أفعل هذا تؤمنون ؟ قالوا : نعم نؤمن ، قال لهم : ساريكم
ما تطلبون ، وأعلم انكم ما تحييون ولا تؤمنون ؟ ولا تؤولون الى خير . فقال للشجرة يا أيتها الشجرة ،
إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر ، وتعلمين أني رسول الله حقا فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي .
قال : ما استتم كلامه حتى اقتلعت الشجرة ووقفت بين يديه ، فلما نظروا إليها اغتموا غما شديدا ، وقالوا

والتقطع وإظهار الثمرة الموعنة.

وأمره للحصى بالتسبيح والتهليل^(١) وأمثال ذلك.

له : مرها أن ترجع الى مكانها وليأتك قسما سويا فأمرها بذلك فاقبل نصفها وبقي نصفها قالوا : مر هذا النصف يرجع الى الذي كان فيه فأمره فرجع الى موضعه كما كان . فلما رأوه قالوا باجمعهم : تالله ما رأينا مثل هذا السحر ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : قد أخبرتكم انكم لا تؤمنون بما أريكم وقد علمتم أنني لست ساحرا ولا كاذبا ولا مجنونا . قالوا : يا محمد ما رأينا أعظم من هذا السحر ولم يكن فيهم أشد تكذيبا من أبي لب ، فقال له بعضهم : يا محمد ما وجد ربك من بيعته غيرك ؟ فغضب من كلامهم وقال لهم : والله يا معاشر قريش قد علمتم انه ما منكم احد يتقدمني في شرف ، وأني الى خير مكرمة ، وان آبائي قد علمتم من هم ، فسكت القوم وانصرفوا وفي قلوبهم عليه أحر من الجمر مما سمعوا من الكلام وأراهم من العجائب التي لم يقدروا أن يأتوا بمثلها .

وفي كتاب الإمام علي (ع) لأحمد الرحمانى الهمداني ص ٧٨٦ : أورد الزمخشري في (ربيع الأبرار) على ما في (تاريخ الخميس) في هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ام مبعد ، قالت : (لما توضأ صلى الله عليه وآله وسلم مع في أصل عوسجة يابسة عندنا فأينعت وأثمرت كنا نستشفي بشارها في حياتها - إلى - فأصبحت ذات شوك من اسفلها إلى أعلاها و تساقط ثمرها وذهبت نضرتها وما شعرنا إلا بقتل أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ، فما أثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها ثم أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط وقد ذبل ورقها إذ أتانا خبر مقتل الحسين عليه السلام ويبست الشجرة) .

(١) في مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٨٠ : عن علقمة وابن مسعود : كنا نجلس مع النبي صلى الله عليه وآله ونسمع الطعام يسبح ورسول الله يأكل ، وأتاه مركز العامري وسأله آية فدعا بتسع حصيات فسبحن في يده . وفي حديث أبي : فوضعهن على الارض فلم يسبحن وسكتن ثم عاد وأخذها من فسبحن . ابن عباس قال : قدم ملوك حضر موت على النبي صلى الله عليه وآله فقالوا : كيف نعلم أنك رسول الله ؟ فأخذ كفا من حصى فقال : هذا يشهد اني رسول ، فسبح الحصى في يده وشهد أنه رسول الله . وفي كتاب الخرائج والجرائع - قطب الدين الراوندي ج ١ ص ٤٧ : ومنها : ما روى عن أنس أنه صلى الله عليه وآله أخذ كفا من الحصى فسبحن في يده ثم صبهن في يد علي ، فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح في أيديهما ، ثم صبهن في أيدينا فما سبحت في أيدينا . وفي كتاب الخرائج والجرائع - قطب الدين الراوندي ج ٢ ص ٥١٩ : عن الحسن بن علي عليها السلام في قوله تعالى : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) قال : يقول الله يبست قلوبكم معاشر اليهود كالحجارة اليابسة ، لا ترشح برطوبة ، أي أنكم لا حق الله تؤدون ، ولا أموالكم تتصدقون ولا بالمعروف تتكرمون ، ولا للضيف تفرؤن ولا مكروبا تغشون ، ولا بشئ من الانسانية تعاشرون وتواصلون . (أو أشد قسوة) أهمهم على السامعين ولم يبن لهم ، كما يقول القائل : أكلت لحما أو خبزا ، وهو لا يريد [به] أي لا أدري ما أكلت بل يريد [به] أن ييهم على السامع حتى لا يعلم ماذا أكل ، وإن كان يعلم أنه قد أكل أيها . (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) أي قلوبكم في القساوة بحيث لا يحى منها خير يا يهود ، وفي الحجارة ما يتفجر منه الانهار فتجى بالخير والنبات لبني آدم . (وإن منها) أي وإن من الحجارة (لما يشقق فيخرج منه الماء) دون الانهار ، وقلوبكم لا

أو بفاضل نوره يسد ما قد كان يحصل الخلل في العالم إذا تغير ذلك الشيء عما هو عليه وذلك كشق القمر^(١).

يجي منها لا كثير من الخير ولا قليل . (وإن منها) أي من الحجارة إن أقسم عليها باسم الله تهبط ، وليس في قلوبكم شيء منه . فقالوا : زعمت يا محمد أن الحجارة ألين من قلوبنا ، وهذه الجبال بحضرتنا فاستشهدها على تصديقك ، فان نطقت بتصديقك فأنت الحق ، فخرجوا إلى أوعر جبل فقالوا : استشهده . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أسألك يا جبل بجاه محمد وآله الطيبين ، الذين يذكر أسائهم خفف الله العرش على كواهل ثمانية من الملائكة بعد أن لم يقدرُوا على تحريكه » . فتحرك الجبل وفاض الماء ، فنادى : أشهد أنك رسول رب العالمين ، وأن قلوب هؤلاء اليهود كما وصفت أقسى من الحجارة . فقال اليهود : أعلينا تلبس ؟ أجلسنا أصحابك خلف هذا الجبل ينطقون بمثل هذا ، فان كنت صادقا فتتح من موضعك إلى ذي القرار ومر هذا الجبل يسير إليك ، ومره أن ينقطع نصفين ، ترتفع السفلى ، وتنخفض العليا . فأشار إلى حجر تدحرج ، فتدحرج ، ثم قال لمخاطبة : خذه وقربه فسيعد عليك بما سمعت ، فان هذا جزء من هذا الجبل . فأخذه الرجل فأدناه من أذنه ، فنطق الحجر بمثل ما نطق به الجبل . قال : فأتني بما اقترحت . فتباعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فضاء واسع هناك ثم نادى : أيها الجبل بحق محمد وآله الطيبين لما اقتلعت من مكانك بأذن الله وجئت إلى حضرتي فتزلزل الجبل وسار مثل الفرس الهملاج ونادى : ها أنا سامع لك ومطيع ، مرني . فقال : هؤلاء اقترحوا علي أن أمرك أن تنقطع من أصلك فتصير نصفين ، فينخفض أعلاك ويرتفع أسفلك . فنقطع نصفين ، فارتفع أسفله وانخفض أعلاه ، فصار فرعه أصله . ثم نادى الجبل : أهذا الذي ترون ، دون معجزات الذي تزعمون أنكم به مؤمنون ؟ فقال رجل منهم : هذا رجل تتأني له العجائب . فنادى الجبل : يا أعداء الله أبطلتم بما تقولون نبوة موسى عليه السلام ، حيث كان وقوف الجبل فوقهم كالظلة ، فيقال : هو رجل يأتي بالعجائب . فلزمتهم الحجة وما أسلموا .

(١) في كتاب الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصبيني ص ٧٠ : حدثنا محمد بن أحمد عن همران بن أعين عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال : لما أظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الرسالة والوحي بمكة واراهم الآيات العظيمة والبراهين المبهرة تحيرت قبائل قريش من بني امية وبني تيم وعدي فيها أتى به النبي (عليه السلام) اجتمع بعضهم الى بعض وقالوا لذي الرأي منهم ماذا ترون من الرأي في ما يأتي به محمد مما لا يقدر عليه احد من السحرة والكهنة والجن وأتى بشيء لا يقدر ان يأتي به من ذكرناه احد حتى نسال محمدا من اين أتى به فلم يدع بدينه الى الانبياء والرسول ولا الكهنة والسحرة ولا الجن المسخرة لسليمان بن داود ولا معجزة الا وقد آتاهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمثلها واعظم منها فقال بعضهم لبعض : اجمعوا على ان نساله أن يشق لنا القمر في السماء وينزله الى الارض شعبتين فان القمر ما سمعنا من سائر النبيين أحدا يقدر عليه كما قدر على الشمس فانها رجعت ليوشع بن نون (عليه السلام) وصي موسى بن عمران (صلوات الله عليه) وكانوا يظنون ان الشمس لا ترد من مغربها ، فمن ذلك ابراهيم (عليه السلام) قال : (ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) وهو النمروذ ثم ردت على يوشع بن نون على عهد موسى (عليه السلام) فاجمعوا امرهم وجاؤوا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا له : يا محمد قد جعلنا بينك وبيننا آية ان أتيت بها آمنا بك وصدقناك ، قال لهم رسول الله اسألوني فاني أنبئكم بكل آية لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله . فقالوا : يا محمد الوعد بيننا وبينك سواد الليل وطلوع القمر ، تقف على المشعرين فتسال ربك الذي تقول انه ارسلك رسولا ان يشق لك القمر شعبتين ، وينزله من السماء حتى ينقسم قسمين ، ويقع

ورد الشمس بعد غروبها.

وعروجه صلى الله عليه وآله في المعراج وخرقه الأفلاك عليه السلام

القسم الواحد على المشعرين ، والقسم الثاني على الصفا . فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : فهل انتم مؤمنون بما قلتكم انكم تؤمنون بالله ورسوله . قالوا : نعم يا محمد ، وتسامع الناس وأتوا الى سواد الليل فاقبل الناس يهرعون الى البيت وحوله حتى اقبل الليل واسود وطلع القمر وأنار ، والنبي (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) ومن آمن بالله ورسوله يصلون على النبي (صلى الله عليه وآله) وقالوا (وسلم) ويطوفون حول البيت ، فاقبل أبو جهل وابو سفيان على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا له : الآن بطل سحر ك وكهانتك ، هذا القمر فاوف بعهدك ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : قم يا ابا الحسن قف بجانب الصفا ، وهرول الى المشعرين وناد بهذا اظهارا وقل في ندائك : « اللهم رب هذا البيت الحرام والبلد الحرام وزمزم والمقام ومرسل هذا الرسول التهامي أذن للقمر أن يشق وينزل الى الارض فيقع نصفه على الصفا ونصفه على المشعرين فقد سمعت سرنا ونجوانا وانت بكل شيء عليم » . فتضاحكت قريش وقالوا ان محمدا استشفع بعلي لانه لم يبلغ الحلم ، ولا ذنب له فقال أبو لهب (لعنه الله) لقد اشمئنا الله بك يا ابن اخي في هذه الليلة . فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اخس يا من أتب الله يديه ، ولم ينفعه ماله ولا بنوه ، وتبين مقعده في النار . فقال أبو لهب : لافضحك في هذه الليلة بالقمر وشقه وانزله الى الارض ولا قلت كلامك هذا الذي إذا كان غدا جعلته سورة ، وقلت هذا اوحى الى ابي لهب . قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) امض يا علي فيما أمرتك واستعد بالله من الجاهلين ، ثم هروا امير المؤمنين من الصفا الى المشعرين ، ونادى واسمع بالدعاء فما استتم كلامه حتى كادت الارض ان تسبخ باهلها والسماء ان تقع فقالوا : يا محمد لقد اعجزك شق القمر اتيتنا بسحر ك لتفتننا فيه ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هان عليكم بما دعوت به فان السماء والارض لا يهون عليهما بذلك ولا يطيقان سماعه ، فقوموا باجمعكم وانظروا الى القمر قال : ثم ان القمر انشق نصفين نصفا وقع على الصفا ونصفا وقع على المشعرين ، فاضاءت داخل مكة وأوديتها وصاح المنافقون : اهلكنا محمد بسحره يا محمد افعل ما شئت فلن نؤمن بك ولا بما جئتنا به . ثم رجع القمر الى منزله من الفلك واصبح الناس يلوم بعضهم بعضا ويقولون برأيهم : والله لنؤمنن بمحمد ولنقاتلنكم معه مؤمنين فقد سقطت الحجة وتبين الاعذار وانزل في ذلك اليوم سورة ابي لهب واتصلت به فقال : ان محمد فعل ما قلته له في تأليفه له في هذا الكلام ليسنعني به ، والله اني لاعلم ان محمدا يعاديني لكفري به وتكذيبي له من بين بني عبد المطلب وخاصة لسبب العباس فانه انكره اولاد عبد المطلب لما اتت امه بتلك الفاحشة واحرقها ابونا عبد المطلب على الصفا وكان اشد هم له جحدا الحارث والزبير وابو طالب وعبد الله فحلقت باللات والعزى انه من ابنا عبد المطلب حتى احققت العباس بالنسب فمن اجل ذلك الف هذا ويزعم انها سورة انزلها الله عليه ، فوحي باللات والعزى لو اتى محمد بما يملا الافق من المدح ما أمنت به ولا فيما جاء به ولو عذبنى رب الكعبة بالنار . فامن في ذلك اليوم ستائة واثنا عشر رجلا واكثرهم اسر اياهن وكنتم الى ان جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة ومات أبو لهب (لعنه الله) وقتل أبو جهل وأسر أبو سفيان ومعاوية يوم فتح مكة والعباس وزيد بن الخطاب وعقيل بن ابي طالب واسر كثير منهم مقدار ثمانين رجلا تحت القدم فكانوا طلقاء لم ينفعهم ايمانهم وهم لا ينظرون

عند عروجه بجسده إلى العرش وربما يرقون السافل إلى الأعلى كما رقوا
الحمامة والغزال حتى تكلموا باللغة العربية يعرفها كل من سمع وربما ينزلون
في مقام أسفل كما تكلم مولانا الباقر عليه السلام مع تلك الحمامة حيث
تكلم عليه السلام بكلامها معها وهذا هو الحكم الجامع في كل معجز لكل
نبي أو ولي أو وصي أو عبد صالح فإنهم بفاضل نورهم يجبرون كل كسير
ويصلحون كل شيء ثم يمدونه للإظهار كما فعل عليه السلام بصورتي
الأسد المنقوشتين على مسند مأمون وكذلك الهادي عليه السلام مع ذلك
الهندي.

وأما الجواب عن الثاني فلما ذكرنا كثيرا في مباحثاتنا ورسائلنا خصوصا
في الشرح على الخطبة الشريفة الطنجنجية أن مقام رسول الله صلى الله عليه
 وآله مقام الإجمال ومقام علي عليه السلام مقام التفصيل فنسبة رسول
الله صلى الله عليه وآله نسبة العرش الفلك الأطلس الخالي عن الكوكب
ونسبة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام نسبة الكرسي الفلك المكوّب
مع أن الكرسي مستمد من العرش ترى الكواكب والآثار والتأثيرات إنما
هو في الكرسي بقرانات الكواكب بعضها مع بعض ونسبة سائر الأئمة
عليهم السلام نسبة الأفلاك السبعة وهي تستمد من الكرسي، والكرسي
يستمد من العرش، لكن مبدأ التفاصيل وظهور الأمر إنما هو في الكرسي
حتى نسبوا التأثيرات إلى الكواكب المركوزة في الكرسي ولا ينسبونها إلى
العرش مع أنها كلها به ومنه وعنه فنسبته صلى الله عليه وآله نسبة النقطة
ونسبة علي عليه السلام نسبة الألف الممتد من النقطة ونسبة الأئمة عليهم

السلام نسبة الحروف فعلي عليه السلام أمير المؤمنين والمؤمنون هم الأئمة عليهم السلام وهو عليه السلام يميزهم العلم والحكمة ولذا كان ظهور المعجزات والخوارق من علي عليه السلام دون النبي وسائر الأئمة عليهم السلام وهو قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله (أنا المنذر وعلي الهادي)^(٢) والهادي هو الموصل إلى المطلوب من خير وشر ونفع وضر ونور وظلمة لأنه الواقف في حجاب الرحمانية التي بها ظهر الله على العرش فأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مخلوق رزقه فافهم راشدا موقفا إنشاء الله تعالى.

وأما كونه عليه السلام آية للنبي صلى الله عليه وآله لأنه عليه السلام سبب ظهوره وإظهار نوره وانتشار أمره وإعلاء ذكره وإفشاء خبره، أما في الظاهر فلأن بسيفه عليه السلام ظهر الدين وبإعانتة قوي الإسلام والمسلمون إذ ما انتشر أمر النبي صلى الله عليه وآله إلا بعد الغزوات في جهاد الكفار وما حصل الفتح فيها إلا بعلي عليه السلام فكان هو آية للنبي صلى الله عليه وآله به أقام الدين وأعز الإسلام والمسلمين.

وأما في الحقيقة والواقع فلما ذكرنا آنفاً أن مقامه عليه السلام مقام التفصيل ولا يظهر المجمال إلا في مقام التفصيل لأن النقطة لا تظهر إلا بالآلف والعرش لا يتبين إلا بالكروسي، ولذا كان عليه السلام هو حامل لواء الحمد ومقامه مقام النفس الكلية ومقام النبي صلى الله عليه وآله

(١) الرعد ٧

(٢) بحار الأنوار ج ٩ ص ١٠٦ الج ٢٣ ص ٣٥ ج ٤٠٣ - تاويل الايات ٢٣٦ - تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٠٣ - شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٨٤

مقام العقل الكلي ولا يظهر آثار العقل في مقام التفصيل وعالم الظهور إلا في النفس فكانت النفس آية للعقل ولا تظهر إلا بها فلولا النفس لم يكن للعقل ظهور ولولم يكن الكرسي لم يكن للعرش ظهور، فالكرسي آية للعرش ومحل لظهوراته، كذلك علي عليه السلام آية للنبي صلى الله عليه وآله ولولاه لم تظهر آثار النبوة، إذن يقبح بعث النبي لعدم الآية وهو معنى ما ورد (لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك).

الحسنة بعشر والسيئة بمثلها

قال سلمه الله تعالى المسألة التاسعة عشرة لم كان الثواب على الطاعة عشرة والجزاء على المعصية بمثلها كما قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ (١)

أقول اعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق من عشر قبضات من الأفلاك التسعة ومن الأرض فخلق من العرش قلبه ومن الكرسي صدره ومن فلك زحل عقله ومن فلك المشتري علمه ومن فلك المريخ وهمه ومن فلك الشمس وجوده ومن فلك الزهرة خياله ومن فلك عطارد فكره ومن فلك القمر حياته ومن العناصر الأربعة جسده فخلق من كرة النار مرته الصفراء ومن الهواء دمه ومن الماء البلغم ومن الأرض مرة السوداء وبها تم هيكل الجسد فلما كانت الطاعة جهة النور والخير وقد خلقت مقصودة لذاتها فإذا أقبلت على المؤمن أقبل المؤمن عليها بكله فكل جهة من جهاته

(١) الانعام ١٦٠

تتوجه بالإقبال إلى الطاعة لأنها خلقت للخير والنور فتميل تلك الجهات بميل المؤمن إلى الطاعة ميلا غريزيا فتستحق طاعة واحدة عشر مثوبات بعدد كل مرتبة وهذا أقل ما في الباب وقد يكون الجزاء والثواب في بعض الطاعات أكثر كما في الإنفاق كما قال تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (١) ووجه المائة من جهة ملاحظة تلك العشرة معها في نفسها وقد يكون أكثر على حسب إقبال المؤمن أوقوة تلك الطاعة إما من جهة الذات أو من جهة القرانات والانتسابات.

وأما المعصية فمن جهة أنها خلقت بالعرض فلا يقبل إليها المؤمن بالذات فإذا وردت على هذه المراتب ما قبلت إلى أن وصلت إلى الجسد فتستقر لمناسبة ظلمة الجسد بظلمة المعصية فيواقع الرجل المعصية وقلبه وسائر قواه الباطنية منكر لها معرض عنها فإذا تاب وندم في تلك الحالة أوبعد الفراغ من غير مهلة أو مع المهلة قبل أن تمضي سبع ساعات فلا يكتب شيء لأنها لطخ جزئي يسير زال قبل الاستقرار فإذا لم يتب حتى صعدت الأبخرة المنتنة إلى الخيال بعد الحس المشترك وخرقت القبضات السبعة الفلكية واستقرت في النفس فيظلم الرجل فيكتب بعد مضي سبع ساعات معصية واحدة لأنها ليست بإقبال المؤمن إليها بكله ولذا كانت جزاء المعصية واحدا .

(١) البقرة ٢٦١.

إلى هنا تمت المسائل جعلنا الله وإياكم ممن يقبل إلى الطاعات ويجتنب المعاصي والسيئات ثم يا أخي إني معتذر إليك من بسط المقال فإني في غاية الاختلال من ضعف البنية والقوى وتفرق الحواس من كل جهة وعدم الإقبال وعدم التمكن على الاستقرار والله يعلم إني كتبت هذه الوريقات في كمال الضيق والاستعجال ومع ذلك طالت هذه المدة، والعذر عند كرام الناس مقبول، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وكتب منشيها كاظم بن قاسم الحسيني في عصر يوم السبت الخامس عشر من شهر محرم الحرام سنة ١٢٣٧ حامداً .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين المعصومين.
أما بعد فإن جناب السائل المقدم ذكره أردف تلك المسائل بمسائل
معضلة فكتبت جوابها مستعجلا مع تفرق البال واختلال الأحوال متوكلا
على الله مقتصرًا على أدنى ما يحصل به المطلوب والله ولي التوفيق.

الفائدة في إخبار جبرائيل الرسول ما يجري على الحسين عليه السلام
قال أيده الله تعالى هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله عالما بما يصنع
بالحسين عليه السلام قبل أن يخبر به جبرئيل أم لا فإن كان عالما فما الفائدة
في إخبار جبرئيل

أقول إن الله عز وجل خلق نبيه وصفيه في الخلق الأول قبل أن يخلق
خلقا بأربعة عشر ألف دهر وكل دهر مائة ألف سنة ثم خلق القلم وهو أول
خلق من الروحانيين عن يمين العرش وأول غصن أخذ من شجرة الخلد
ثم قال له سبحانه اكتب يا قلم فقال يا رب وما اكتب قال اكتب أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فغشي على القلم من حلاوة
اسم محمد صلى الله عليه وآله ألف سنة فلما أفاق أمره الله سبحانه أن يكتب
ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وبعده إلى ما شاء الله إلى ما لا نهاية له ثم
ختم على فم القلم فلم يكتب وقد جف القلم ثم جعله سبحانه عند محمد

صلى الله عليه وآله فكان بذلك خازن علم الله ومهبط وحيه فعلم أسرار ما كان وما هو كائن إلى يوم القيمة ومما كتب القلم واقعة الحسين وقد روي أنه لما وصل إلى هذه الواقعة الهائلة جرى القلم بلعن يزيد أربع مرات من غير إذن الله تعالى أي الإذن الخاص وإلا فالإذن العام كان ثابتاً إذ لا ينطق ولا يكتب عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فقد علم النبي صلى الله عليه وآله جميع الأحوال والوقائع قبل إبرائها وإنشائها في أماكنها وأوقات وجوداتها فلما نزل صلى الله عليه وآله من عالم الغيب الأول إلى الغيب الثاني إلى عالم الشهادة ولما كان عالم الشهادة ضيق الفضاء كان لا تنزل تلك العلوم إليه دفعة واحدة لكنها تجري كالنهر الجاري دائم الجريان لا انقطاع له أبداً ينزل من غيبه صلى الله عليه وآله إلى شهادته ولما كان بين الأمرين لا بد من رابطة كانت تلك الروابط هي الملائكة وهي الروابط بين غيبه وشهادته صلى الله عليه وآله تأخذ من غيبه وتؤدي إلى شهادته روعي فداه مثاله الخطرات التي ترد عليك وتظهر منها في حواسك المرتبطة بجسمك فإن تلك الخطرات إنما وردت عليك من قلبك إلى ظاهر جسمك وحواسك فالملائكة هم تلك الروابط وهم ذوات متأصلة وأرواح ذوو شعور وإدراك وإرادة خلقوا من فاضل شعاع العقل الكلي الذي هو القلم لقد برزوا وظهروا منه كما برزت الأشعة من الشمس وتلك الروابط مما لا بد منه في الوجود فلا يمكن في عالم الشهادة أن يصل إليه صلى الله عليه وآله حكم من غير الملك ولا يمكن أن يأخذ الملك إلا عن غيبهم لأن العلم أشرف من كل شيء ومحله يجب أن يكون أشرف لحكم المناسبة فلو كان سواهم

حملة العلم كانوا أشرف من محمد وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين كيف وإن جبرائيل ما عرف الله سبحانه إلا بعد أن عرفه إياه علي عليه السلام وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لجبرائيل ممن تأخذ الوحي قال من إسرافيل قال صلى الله عليه وآله وهو ممن يأخذ الوحي قال من ميكائيل قال صلى الله عليه وآله هو ممن يأخذ الوحي قال من اللوح واللوحي من القلم انتهى وقد عرفت أن القلم متأخر عن النور الأحمدي صلى الله عليه وآله حتى أنه غشي عليه ألف سنة عند سماع اسمه الشريف فصيح لك أنه صلى الله عليه وآله كان عالما بما يصنع بالحسين عليه السلام قبل خلق جبرائيل في عالم الغيب إلا أن جبرائيل واسطة تنزل العلم من غيبه إلى شهادته فكان في عالم الأجسام بواسطة جبرائيل وسائر الملائكة وفي عالم الغيب كان يعلم جبرائيل بواسطة صلى الله عليه وآله فافهم.

معنى خلق الأشياء بالمشيئة والمشيئة بنفسها

قال وفقه الله تعالى ما معنى خلق الله الأشياء بالمشيئة وخلق المشيئة بنفسها

أقول اعلم أن المشية هي الذكر الأول كما قال الرضا عليه السلام ليونس بن عبد الرحمن أتدري ما المشيئة قال لا قال عليه السلام هي الذكر الأول والأشياء ما عداها كلها مذكورة بالذكر فمنها ما هو مذكور بالإمكان ومنها ما هو مذكور بالكون ومنها ما هو مذكور بالكون الغيبي ومنها ما هو مذكور بالكون الشهودي وقد أشار إلى القسم الأول مولانا

الصدق عليه السلام عند تفسير قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(١) قال عليه السلام (كان مذكورا في العلم ولم يكن مكونا) ولا شك أن المذكور مسبق بالذكر فيكون الذكر الأول هو السابق على كل شيء ولو كان هذا الذكر قديما لا يخلو إما أن يكون عين الذات أو غيرها فإن كان عين الذات يلزم الكثرة والتركيب في الذات لأن الذكر له ارتباط بالمذكور وإلا لم يكن ذكرا فيكون له جهتان فإذا كان الذكر عاما فله صلوح الروابط الخاصة فتكثر الجهات بتكثر المذكورات فلا يكون الأزل صمدا لتعدد الجهات والنسب فيه ولذا قال عليه السلام (لا تكون الإرادة إلا والمراد معه)

وإن كان غير الذات تعدد القدماء فيجب أن يكون حادثا فحينئذ لا يخلو إما أن يكون حادثا بنفس ذكره فهو المطلوب أم بذكر آخر فينقل الكلام فيه فيتسلسل وهو باطل بالضرورة في هذا المقام مع أنك إذا رجعت إلى وجدانك وجدت أنك أولا تذكر شيئا من غير سبق شيء ثم تحكم على ذلك الشيء بالإثبات أو النفي وليست إرادتك إلا ذلك الذكر ولم يكن قبل ذلك الذكر شيء سوى ذاتك وقد أحدثت ذكرا بنفسه ثم رتبته عليه حكما من الأحكام.

ووجه آخر أن المشيئة هي فعل الله سبحانه وما سواها من المخلوقين كلهم مفعول والمفعول مسبق بالفعل ومتقوم به والفعل لو كان مسبقا بفعل آخر لزم التسلسل ولو كان عين الذات وجب أن لا يفارقها مع أن

(١) الانسان ١

الفعل يوصف بالنفي والإثبات تقول تقول فعل ولم يفعل فتنفي مع بقاء الذات فوجب أن يكون مخلوقا بنفسه.

ومعنى أن المشيئة مخلوقة بنفسها أنه ليس بينها وبين الذات سبحانه وتعالى وصل واتصال ولا فصل وانفصال ولا نسبة ولا تضاد ولا تخالف ولا توافق إذ في صورة الفصل إن كانت الفاصلة نفسها لم تكن فاصلة وإن كانت غيرها والمفروض عدمه.

وفي صورة الاتصال لا بد من مشابهة ومناسبة في الملتقى فيكون الخلق حقاً أم الحق خلقاً ويلزم التحديد عند الاتصال إذ لو لم تعتبر الجهات والمغايرة جاءت الوحدة وارتفع الاتصال وإذا عبرت وجب التحديد وهو باطل بالضرورة وفي صورة النسبة يلزم التركيب واتحاد الأصقاع إذ لا بد من وجود النسبة في المقامين فيكون في كل من المتسبين ذات وجهة ارتباط إلى الآخر وهو التركيب وفي صورة التضاد لم يتصور كونها مخلوقة إذ الضدان متعادلان في القوة والوجود فلم يكن أحدهما محدثاً والآخر محدثاً بفتح الدال في الثاني وكذلك المخالفة والموافقة.

وأما كيفية هذا الصدور فلا كيف لها فلا تعرف بالكيف كما قال مولانا الرضا عليه السلام (وإنما إرادته إحداثه لا غير لأنه لا يروي ولا يهم ولا يفكر وإنما يقول للشيء كن فيكون من غير لفظ ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له)^(١) ولا بيان أعظم مما ذكرنا في مقام العبارة والله الموفق للصواب.

(١) في مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي ص ١٤٠ : عن الصدوق رحمه الله قال حدثنا الحسين بن أحمد ابن ادريس رضي الله عنه عن أبيه عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال : قلت لابي الحسن عليه السلام اخبرني عن الارادة من الله ومن الخلق قال فقال الارادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك

المشيئة قبل الصفات الفعلية

قال سلمه الله تعالى: وهل الصفات الحادثة الفعلية خلقت قبل المشيئة أم بعدها؟

أقول: إن النحاة ذكروا أن الفعل هو الأصل في العمل وأن الفعل هو الذي يرفع الفاعل ومقتضى هذا القول المتفق عليه أن يكون الفعل مقدما على تلك الصفات لأنها هي الأسماء كقولك الخالق الرازق المحيي المميت وأمثالها من الأسماء وأيضا قالوا أن اسم الفاعل مشتق من الفعل أو المصدر وهو أيضا دليل على تقدم المشيئة على الأسماء لأن العامل أشرف من المعمول وهو المؤثر في المعمول والمنفعل المتأثر لا يتقدم على الفاعل المؤثر وكذا المشتق منه أصل للمشتق والمشتق فرع لأن الاشتقاق اقتطاع فرع من أصل وهذا لا إشكال فيه ولكنهم أيضا اتفقوا على أن الفعل لا قوام له إلا بالفاعل وهو الأصل والفعل فرع له وهو أشرف من الفعل حتى أنهم لا يعرفون من الفاعل إلا الذات فمقتضى هذا القول أن يكون الأسماء والصفات مقدمة على المشيئة التي هي الفعل وحقيقة الأمر هي أن الاسم ظهور المسمى بالأثر وذلك الظهور إنما هو قائم بالأثر قيام تحقق ألا ترى أن القائم اسم لظهور زيد بالقيام والقاعد لظهوره بالعود والعالم لظهوره بالعلم وأمثالها فالأثر مساوق للظهور بل الظهور هو الوجه الأعلى منه وذلك الأثر إنما هو متقوم بالتأثير الذي هو الفعل وصادر عنه والمشيئة هي

من الفعل وأما من الله عز وجل فارادته أحداثه لا غير ذلك لانه لا يروي ولا يهيم ولا يتفكر وهذه الصفات منفية عنه وهي من صفات الخلق فارادة الله هي الفعل لا غير ذلك يقول له كن فيكون فلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما انه بلا كيف.

التأثير والإحداث الذي هو الفعل والأثر هو المصدر الذي هو المفعول المطلق.

وهذا المصدر له ثلاث جهات:

الأولى جهته إلى مبدئه وذكر علته فيه.

والثانية جهة تعلقه بغيره.

والثالثة مقام تحققة في نفسه.

فمن الجهة الأولى يشتق الاسم الفاعل ومن الجهة الثانية يشتق الاسم المفعول ومن الجهة الثالثة المفعول المطلق فالاسم مشتق من المصدر والمصدر مشتق من الفعل فالاسم متأخر عن المصدر ولذا تراهم يعمل فيه والمصدر متأخر عن الفعل ولذا يقع تأكيداً ومعمولاً له فتكون حينئذ الأسماء متأخرة عن الفعل الذي هو المشيئة ألا ترى اختلاف الأسماء وتعددتها في زيد مثلاً إنما هو من جهة اختلاف آثاره والفعل واحد فإذا صدر عنه القيام اشتق له اسم القائم وإذا صدر عنه القعود اشتق له اسم القاعد وهكذا فتكون الأسماء هي جهات ظهورات الذات بالفعل والتأثير وهي لا شك أنها متأخرة عن الفعل.

وأما وجه التقدم فهو من جهة الدلالة والذكر فإن الفاعل أي الاسم الفاعل هو حكاية الفعل للمفعول عدم استقلالية نفسه وهو مقام طبي الوسائط مثلاً إذا نظرت إلى المرأة فإنك تلتفت إلى زيد المقابل مثلاً وتحكم عليه مع قطع النظر عن كونه مثلاً لزيد في (المرأة) ولا ريب أنه مثال متأخر عن تأثير زيد ومقابلته للمرأة لأن تلك الصورة إنما حدثت من جهة المقابلة

وهي العلة لوجودها لكنك حين التفاتك إلى الصورة تلتفت إلى الذات
ووتقطع التفاتك عن المقابل والتأثير وسائر القرانات والوسائط الحاصلة
مع أنها كلها مقدمة على تلك الصورة الحاكية فافهم إن كنت تفهم وإلا
فاسلم تسلم.

واعلم أن هذه المسألة من أغمض المسائل في التوحيد إلا أنني أشرت
إليها إشارة يسيرة تنبيها إلى نوع المقصود فمن كان له قلب أو ألقى السمع
وهو شهيد يرى الأمر على ما ذكرت واضحا ظاهرا والله ولي التوفيق ولا
حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

المشيئة أم الحقيقة المحمدية

قال سلمه الله تعالى: هل الصادر الأول هو المشيئة أم الحقيقة المحمدية
صلى الله عليه وآله

أقول: اعلم أن الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى المشيئة
كالانكسار بالنسبة إلى الكسر والكسر وإن كان مقدما على الانكسار إلا
أنه لا تحقق له إلا بالانكسار إذ لو لم يكن الانكسار لم يكن الكسر ولولا
الكسر لم يكن الانكسار كل واحد منهما شرط لتحقيق الآخر والانكسار
محل للكسر وبه تمام الكسر وأحدهما قائم بالآخر قيام تحقق وعضد ويقال
أيضا أن الحقيقة المقدسة قائمة بالمشيئة قيام تحقق والمشيئة قائمة بها قيام
ظهور وهو قوله عليه السلام نحن محال مشيئة الله ولا تظهر آثار المشيئة
في الأكوان والأعيان إلا بتلك الحقيقة الشريفة صلى الله عليه وآله وهي

الزيت الذي يكاد يضيء ولولم تمسسه نار المشيئة
وهنا أحوال عجيبة وأسرار غريبة يضيق صدري بإظهارها ولا يضيق
بكتماها

أخاف عليك من غيري ومني ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أني جعلتك في عيوني إلى يوم القيمة ما كفاني
قال سلمه الله تعالى: وعلى أي التقادير هل خلقه الله سبحانه بذاته
أوبأمر آخر وإن كان الثاني فأى شيء هو والمفروض أنه لم يكن هناك شيء
غير الذات

أقول: هذا آخر مسائله وفقه الله لمراضيه.
اعلم أنا قد ذكرنا لك سابقا عن كلام مولانا الصادق عليه السلام أنه
سبحانه خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة وبيننا معنى خلقها
بنفسها أنه لا بمشيئة غيرها ولا بذاته تعالى لأن الذات سبحانه وتعالى ليس
لها مع غيرها ربط ولا نسبة ولا وصل ولا فصل ولا تباين ولا تخالف لما
ذكرنا سابقا فلا نعيد والسلام على اتبع الهدى وخشي عواقب الردى وصلى
الله على محمد وآله الطاهرين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المحتويات

٦	معنى التوحيد
٦	أدلة التوحيد
١١	مراتب التوحيد
١٢	مراتب الموحدين
١٢	التوحيد الذاتي
١٢	التوحيد الصفاتي
١٣	توحيد العوام
١٤	توحيد العوام الأعلى
١٤	توحيد الخواص
١٥	توحيد الخصيصيين
١٦	معنى الصفة
١٧	الصفات الذاتية
٢٠	الصفات الفعلية
٢١	أقسام الصفات

٢٢	 معنى الاسم
٢٤	 آل محمد أكبر الأسماء وأعظمها
٢٦	 موضوع الأسماء الإلهية
٣٥	 ظهور آيات الله في أئمة الهدى عليهم
٤١	 بيان الحروف
٤٨	 أنواع الحروف
٥٣	 معنى الحروف المقطعة
٦٢	 فضل النبي على أمير المؤمنين عليهما وآلهما السلام
٦٦	 معنى الجبر
٦٩	 معنى التفويض
٧٠	 الأمرين الأمرين
٧٢	 أول الوجود
٧٦	 مقام الإجمال للحقيقة المقدسة
٧٨	 مقام التفضيل للحقيقة المقدسة
٧٩	 مقامات المعصومين في ظهور التوحيد
٨١	 محل الذات المقدسة ورتبتها
٨٢	 بحث في الكليات الثلاث

- ٨٦ تعريف العقل وكيفية إدراكه
- ٨٩ المناسبة بين الألفاظ والمعاني
- ٩٤ علة تركيب الأشياء من الضدين
- ٩٦ العلة في تقسيم الأشياء إلى الكثيف واللطيف والألطف
- ٩٨ بطلان المفهوم على إطلاق الواجب سبحانه
- ١٠١ من عرفه نفسه فقد عرف ربه
- ١٠٧ كيفية ظهور المعجز عن المعصوم عليه السلام
- ١١٤ الحسنة بعشر والسيئة بمثلها
- ١١٧ الفائدة في إخبار جبرائيل الرسول ما يجري على الحسين عليه السلام
- ١١٩ معنى خلق الأشياء بالمشيئة والمشية بنفسها
- ١٢٢ المشيئة قبل الصفات الفعلية
- ١٢٤ المشيئة أم الحقيقة المحمدية

اسم الكتاب	رسالة عبد الله بيك
المؤلف	السيد محمد كاظم الحسيني الحائري الرشتي
سنة الطبع	١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م